قطار الرعب

رواية

الكتاب : قطار الرعب
المؤلف : مجموعة كتاب
تصميم الغلاف : محمد مجدي
رقم الإيداع : 27604\2016
الترقيم الدولي : 1-66-6495-977-978

***

دار الميدان للنشر و التوزيع
جمهورية مصر العربية
هاتف 01224245429 / 0552311408
Website: www.daralmidan.com
E-mail: almidan@daralmidan.com

(0)

مُقدمة..

ربما لاحظت عزيزي القارئ أن الغلاف كُتب عليه رواية "قطار الرعب" لـ نُخبة من الكُتَّاب، ولربما أثار هذا عجبك، وتساءلت هل هذا صحيح؟ رواية جماعية؟

أجل يا عزيزي هيَ رواية جماعية لنُخبة من الكُتَّاب جمعتهم فكرة من بنات أفكاري، تحمس لها الجميع، وبدأنا العمل.

يستحق هذا العمل -وهو بكورة سلسلة من الروايات الجماعية المتنوعة- أن نقُص عليك المراحل التي مر بها حتى يصل إلى يديك.. منذ أربعة أشهر ظهرت الفكرة للوجود، كنت أبحث عن فكرة لطرح الكسل عني وعن أصدقائي لنشترك سوياً في عمل واحد، فتحدثت مع أصدقائي المقربين (منال عبدالحميد) و(أيمن العايدي) و(محمد مجدي يوسف) و(هيثم مصطفى) فتحمسوا للفكرة كثيراً وشرعنا في إشراك عدد أكبر من الأصدقاء.. في البداية اخترت أن يتم نشر حلقة أسبوعية على موقع التواصل (فيس بوك)، ثم نُعيد نشرها ككتاب إلكتروني بعد الانتهاء من الحلقات لتيسير الاحتفاظ بها لمن يريد، ومع نشر أول حلقة وجدت الكثير من المتابعين يطالبون بجعلها يومية، وعدد من الكُتَّاب يطلب الاشتراك معنا في العمل.. كانت مفاجأة مُفرحة ومع توالي الحلقات زاد عدد المتابعين لها، وازداد ضغطهم لزيادة عدد

الحلقات، فلجأت لنشر حلقتين أسبوعياً، وزاد عدد الكُتّاب المشتركين بالعمل، غير أن طلبات المتابعين لم تنتهي، فقد أصرّوا على تحويلها لكتاب ورقي ليحتفظوا بها، ومن هنا تم مخاطِبة أستاذ (إسلام عطية) والذي أبدى ترحيبه بالفكرة، وها هيَ ذا بين يديك.

أتمنى وسائر الكُتّاب أن تنال روايتنا إعجابك.

صفاء حسين العجماوي

(1)

الرحلة

الخيام ممتلئة بالروّاد لا تكاد تفرغ، فقط تتغير الوجوه إلا أن الأعداد في تزايد مستمر، ربما كان المطر أحد أسباب تلك الزيادة، فالكل يبغي حماية متعلقاته ومشترياته، ولكنه ليس سبباً في منع روّاد المكان من التدفُق من كافة الأقطار لحضور تلك الفاعلية السنوية، جنسيات عديدة ولغات مختلفة ونقاشات قوية، ندوات وحفلات كثيرة لكنها تشترك كلها في الحماس، تتشابه الخيام في كلّ شيء إلا في تلك اللافتة التي تحدد رقمها واسمها، الأرض الرملية تتشرب المياه كالإسفنج قد تُعيق الغاديين المُحملين بالأمتعة، لكن لا تمنعهم من الحركة، فُرادى وجماعات، أسر وأصدقاء، الكلّ يحمل بيديه أكياس مختلفة الأحجام بها كتب متنوعة يحملها الجميع، انه معرض القاهرة الدولي للكتاب.

في الخيمة التي تحمل رقم (2) نجد مجموعة من الشباب بأعمارٍ متقاربة، من بينهم فتاتين إحداهما تجلس على مقعد، وهيَ تئُن من آلام رُكبتيها.

مازحها أحدهم، وهو يغمز بعينيه قائلاً:

- صفاء يبدو أن الشيخوخة قد أصابتك باكراً.

هتفت (صفاء حسين العجماوي) بحنق:

- مجدي لا داعي للسخرية، فركبتاي يقتُلاني ألماً، عشرة أيام عمر هذا المعرض لم أسترِح فيهما كما ينبغي.

ردّ (محمد مجدي يوسف) وهو يغمز بعينيه:

- هذه ضريبة كونكِ كاتبة، لا تلومي أحداً غيرك.

ضحك الجميع، وانبرى (هيثم مصطفى) قائلاً:

- كلنا كُتَّاب يا مجدي، لكن والحق يقال صفاء أجهدت نفسها كثيراً، بل أكثر من أي شخص آخر.

زفرت صفاء وهيَ تتأوّه، ثم عقّبت:

- أنا بحاجة إلى رحلة لأرفه عن نفسي.

صحح (عمرو مرزوق) كلامها بهدوء:

- نحتاج جميعاً إلى تلك الرحلة.

هزّت صفاء رأسها بالإيجاب، فسأل (إبراهيم وهبي) بحماس:

- وإلى أين نذهب؟

أجابته (رحاب الروبي) بلهفة:

- ما رأيكم في شرم الشيخ؟

اعترضت صفاء، وأيّدها الباقون، فصمتت رحاب مُحبطة.

اقترح (مروان محمد) قائلاً:

- وماذا عن الإسكندرية؟

أيّد (محمد مجدي يوسف) الاقتراح بحماس، فقالت صفاء بسخرية:

- لا ببساطة أيّها السكندريان.

قال (محمود علام) بتوجس:

- وماذا عن الأقصر وأسوان؟

أيّد الجميع الفكرة بحماس شديد، حتى (هيثم) قال:

- يمكننا الاتصال بـ(منال عبدالحميد) لتلحق بنا.

سأل (أحمد جمال):

- وكيف سنُسافر بالقطار أم بالباخرة؟

أجابَ (إسلام وهيب):

- طالما لن نستقِل طائرة، فلا فارق.

عارضه (محمود الجعيدي) قائلاً:

- بل هناك فارق كبير..!

تدَّخلت (صفاء) بحسم:

- سنسافر بالقطار بالطبع.. فمنال لا يمكنها اللّحاقُ بنا إلا بهذه الطريقة.

أكَّد (هيثم) كلامها بقوله:

- منال تعيش بسوهاج، وتُفضل ركوب القطار.

قال (عمرو):

- بما أننا اتفقنا على الجهة، وكيفية السفر، يجب أن نُحدد موعد الرحلة، وأين سننزل..

قالت (رحاب) :

- سينتهي المعرض بعد يومين، ماذا عن السفرِ فور انتهائه؟

تدخَّل (إبراهيم وهبي) :

- يمكننا النزول في بيوتِ الشباب، ومن خلالها يمكن توفير مرشدين.

قالت (صفاء) : لدي العديد من الأصدقاء يمكنهم تدبير الأمر

قال (إسلام) وهيب باستمتاع:

- السفر ليلاً.. كم هو ممتع..

ثم أطلق ضحكة شريرة مازحاً، اتبعها ضحكات الجميع.

***

في تمامِ السابعة مساءاً بعد انتهاء معرض القاهرة الدولي للكتاب، تجمّع الرفاق عند البوابة الرئيسية وكلٌّ منهم يحمل حقيبة سفر وحقيبة الظهر، غير أن رحاب كانت تحمل عُلبة كبيرة جداً بها (بطانية) مما جعلها مادة لسِخرية الشباب، انطلقوا إلى أحد المطاعم القريبة ليتناولون وجبةً دسمة تجمع بين الغداء والعشاء، كانت جلسة مرِحة جعلتهم لا يشعرون بالوقت، حتى صاح (إبراهيم وهبي):

- الساعة العاشرة والنصف، هيّا بنا..

وصلوا إلى محطة القطار بـ(رمسيس) في الحادية عشر والنصف، ثم وقفوا بعد وضع حقائبهم على الرصيف منتظرين القطار رقم (886) السريع المتجه إلى أسوان، وعلى غير العادة جاء القطار في موعده ليتحرك بالرفاق قُبيل منتصف الليل في رحلةِ تستغرق ثلاثة عشر ساعة.

كان القطار يتهادى كعروسٍ خجلة مكسورة الكاحل تسير في الوحل، مما جعل الرفاق يتململون بشدة، كما أن شدة البرد أجبرتهم على أن يتلاصق الشباب محاولين استجداء الدفء من

تقاربهم، بينما تدثرت الفتاتين بالبطانية التي أحضرتها رحاب معها.

زفر (عمرو مرزوق) قائلاً:

- يا لها من ليلةِ طويلة شديدة البرودة.

ردَّ (محمود الجعيدي):

- حتى النَّوم قرّر البقاء في القاهرة، فهو يخشى الإصابة بالأنفلونزا.

ضحك الجمِيع بقلبٍ خالِ، ثم عادوا إلى تدفئة أنفسهم.. فقالت (صفاء) وهي تمسك بيد (رحاب) المرتعشة تحاول أن تُدفئها:

- لا يمكننا قضاء ثلاثة عشر ساعة في صمت، يجافينا فيها النوم، ويتسلى بنا البرد.

سألها (إسلام وهيب) بكلماتِ تحاول الهرب من بين أسنانه المُستكَّة:

- ماذا نفعل؟ اقترحي أي شيء يُنسينا هذا الصقيع.

نظرت لهم بتبرمٍ وهيَ تهتف:

- فلتفكروا معي أيها المرتجفون.

حاولوا تجميع شتاتهم ليفكروا في أي شيء يُلهيهم عن البرد دون جدوى، مرّت عشر دقائق غنَّى فيها الصمت على أنغام الأجساد الصامتة المرتعشة من البرد، وعلى حين غفلة برَقت عيون (صفاء) منبئة عن مولد الفكرة المرتقبة.. فقالت بحماس:

- ما رأيكم في أن يحكي كلٌّ منّا قصة رعب؟ لا يشترط أن تكون حقيقية يكفي أن تكون من بنات أفكاره، فلنجعلها منافسة فيما بيننا.

شاركها (محمود علام) حماسها، وهو يقول:

- البرد والإضاءة الخافتة للقطار وسرعته البطيئة مناسبة لإضافة الجوّ المناسب.

هز الجميع رؤوسهم مرحبين بالفكرة.. سأل (أحمد جمال) في حيرة:

- مَن يبدأ؟ وكيف نختار التالي؟

ردَّت (صفاء) ببساطة:

- بالاقتراع، ما رأيكم؟

أيّدها الجميع مُتحمسين، فأخرجت دفترها وكَتبت اسم كلٍّ منهم في ورقة قبل طيِها، ثم تركت الورق لـ(رحاب) لتلتقط ورقة وتفتحها وتهتف بالاسم المكتوب فيها.

قبل أن تنطق رحاب بالاسم فُتح باب العربة ليَطل عليهم (محمد مسعد) الذي أخذ يُتمتِم معتذراً لاقتحامه المكان بهذا الشكل، نظرت له (صفاء) وهي ترفع حاجبيها دهشة، فقال (محمد مسعد) متأسفاً:

- لم يُسعفني الوقت للَّحاق بكم في محطة رمسيس، فأسرعت إلى محطة الجيزة، وها أنا ذا بينكم، فتقبلوا اعتذاري.

أفسح له الشباب مكاناً بينهم وهم يصافحونه، ما إن جلس حتى أشار إلى الورق بيد (رحاب) وسأل بمرح:

- ماذا فاتني؟

ابتسم له (عمرو مرزوق) بينما أخذ (محمد مجدي) يقُص عليه ما فاته، انتهي (محمد مجدي) من الشرح فأشارت (صفاء) لـ(رحاب) لتُخبر الجميع بالاسم المكتوب بالورقة في يدها.

استوت رحاب في جلستِها، وقالت ببسمة نارية:

- (إبراهيم وهبي).

جاوبها (إبراهيم وهبي) ببسمة شرسة، ثم قال بصوت حاول جعله غامضاً:

- سأحكي لكم قصة بإسم قناة الشيطان، أتمنى أن تنول رضاكم.. ثم ازدرد لعابه، والكلّ في ترقب وحماس، ليبدأ..

(2)

قناة الشيطان

قناة (PLE) تطلُب مراسلين ومعدين برامج، يشترط في المتقدم حُسن المظهر ولا يشترط أن يكون خريج إعلام، وبمرتبات مُجزيه، للاستفسار يرجي الاتصال على الرقم 0666666

العنوان: الدور السادس- 6 شارع السُديسي- مدينه السادس من أكتوبر

أحسّ للوهلة الأولى بأن الأمر غريب بعض الشيء، هذا الرقم الذي لم يرى مثله في بلده من قبل وكثرة الرقم (6) بالتليفون والعنوان ولكن عمله كطبيب نفسي جعله يرى الكثير من المهوسين بالأرقام، ففسر الأمر على أن صاحب الشركة قد يكون من هؤلاء المهوسين برقم (6).

على الفور حدَّث صديقه (حسن) فهو يعلم كم أن حسن يهوي مجال الإعلام ولكن حظه العاثر جعله يعمل في مؤسسات صحفية صغيرة ومواقع إلكترونية دون أجر، تقدَّم كثيرً إلى مؤسسات صحفية أخرى من التي تمتلك خُطة وتعطي مقابلاً للعمل ولكن دائماً ما يتم يرفضه متعللين أنه لا يحمل ليسانس الإعلام.

ثلاث اتصالات إلى أن رد حسن على صديقه بصوتِ ناعس قائلاً:

- مصطفى.. كيف حالك؟ ما كل تلك الاتصالات.. قلقتني.. ما الأمر.

- لا تقلق، الأمر خيرٌ، خيرٌ كثيرٌ، حيث سيتحقق حلمك أخيراً، توجد قناة تطلُب مراسلين ومعدين برامج ولا يوجد شرط التخرج من كلية الإعلام الذي يُعرقلك دوماً.

انتبه حسن للحديث قائلاً:

- ما إسم تلك القناة؟

- قناة (PLE) .

-لم أسمع عنها من قبل، من الممكن أن تكون كجميع المؤسسات التي أعمل بها، ذات العمل دون مقابل، بدعوى أن القناة أو الجريدة في بدايتها ولا تأتي بعائد وأن رأس المال ضعيف وقريباً ستكون أكبر ولم ينسوا من وقف بجانب المكان وسيكون له مرتب كبير.

لا تبدو كذلك، ففي إعلانهم يقولون أن هناك مرتبات مُجزية، تقدَّم بطلبك فأنت الآن تمتلك بعض الخبرات التي تؤهلك وسوف تُقبل بإذن الله.

- سأقدِّم وأتمنى أن يقبلوني، فقد سئمت من العمل في مؤسسات صغيرة لا ترى النور ولا أظنها ستراه ولا تعود عليّ بأي دخل، بل إني أنفق من أموالي، أرسل لي التفاصيل على (الواتس آب) الآن.

- سأرسلها وستتقدَّم لي بالشُكر عندما يتم قبولك.. سأتركك لتنام يا صديقي، تصبح على خير.

أغلق مصطفى الخط وبعث لصديقه الإعلان كاملاً وتبعه برسالة أخرى "يبدو أن صاحب تلك القناة مريضٌ نفسيِ بمرض يسمي الهوس بالأرقام، عرض من أعراض الوسواس القهري، أعلم أنك تُفضل معرفة شخصية مدير المكان الذي ستقدّم به إن أمكن لذلك سأقول لك بعض المعلومات عن شخصية مريض الوسواس القهري.. الوسواس القهري هو نوع من التفكير غير المفيد وغير المعقول يحتل دائماً جزءاً من وعيه فيبدأ يفكر مثلاً في بداية الحياة والخلق ويردّد عقله كلمات كفر أو يردد عقله جمل نابيه أو يقطع تفكيره أغنية ما أو موسيقى أو مشهدِ من فيلم وقد يميل إلى لبس ملابس معينة في مناسبة ما وقد يكرّر عقله رقماً ما فيؤثر هذا في الواقع، فيستخدم هذا الرقم في كلِّ أعماله الحياتية أو يسأل اسئلة ليس لها علاقة بموضوع الحديث، مريض الوسواس القهري دائماً متوتراً وعصبياً ولا يحب الكلام الكثير فدائماً ما يفقد تركيزه في أوسط الحديث فيضطرّ إلى غلق الموضوع، فمريض الوسواس القهري يحاول دائماً تورية مرضه ولا يحب لأحد أن يعرفه، إيّاك أن تسأله عن سبب هوسه بالأرقام ففي هذا الوقت إما أن يزجر أو يرد عليك برد يحاول أن يكون مقنعاً ولكن سيتلاشى التعامل معك فيما بعد، قد يكون عند صاحب القناة عرض آخر من أعراض الوسواس القهري كالخوف من العدوى عند مصافحة الآخرين أو شكوك من غلق الباب أو التأكد من أن كل شيء مرتب ولا يحب أن يرى نظرات التعجب

أو الشكوك في عيون الآخرين فحاول ألا تتعجب من أي فعل يقوم به وتوقع كل شيء، بالتوفيق يا صديقي

قرأ حسن الرسالة فور أن وصلته فلم يقدر على النوم مرة أخرى بعد أن أيقظه صديقه تعقدت حاجباه قليلاً بعد أن فرغ من قراءة الرسالة ثم أطرق ابتسامة خفيفة قائلاً بصوت خافت يكاد لا يسمعه هو : تلك هيَ فائدة أن يكون صديقك طبيب نفسي ثم خرج من الواتس آب وذهب إلى دليل الهاتف يفر بين الأرقام إلى أن وقف عند اسم ياسمين لا تعتبر صديقته ولكن لا تعد زميلته أيضاً فهيَ علاقة ما بين الصداقة والزمالة فهم يعملان مع بعضهما منذ شهور في قسم الفن بالجريدة المغمورة وينزلان مع بعضهما إلى جميع أماكن الحفلات وأماكن وجود الفنانين حتى إن كلف أحد منهم بعمل يستشير الآخر .

ضغط حسن اتصال علي رقم (ياسمين) وما هيَ إلا ثوانٍ وأتاه الصوت عبر أثير الهاتف رقيقٌ نشيط يقول:

- حسن.. ما أخبارك؟

- بخير حال يا ياسمين أحدثك في أمر، أعلم أنك تحتاجين للعمل في مكانٍ أفضل مما نحن فيه وأعلم أن طموحك هو العمل بالبرامج التلفزيونية، والآن أخبرَني صديقاً لي بأن أحد القنوات الفضائية في حاجة لمعدين برامج ومراسلين للقناة، هيّا لنذهب وندعوا الله أن يكون بها خير.

- لكن يا حسن أنت تعلم أننا نحتاج لتدريب، فالجريدة التي نعمل بها كما ترى لم تُعلمنا شيء ولم تفيدنا بشيء، وكل ما فعلناه نحن ليس إلا اجتهاداً منا حتى لا نُصبح مثل زُملائنا الذين ينسخون الأخبار من المواقع الأخرى ولا نعلم إن كانت صياغتنا للأخبار صحيحة أم لا، فلا أحد من ذوي الخبرة يُراجع على أي فرد في تلك المؤسسة، ما ترسله يُنشر في الحال حتى وإن كتبت قصة حياتك.

- نحن اجتهدنا يا صديقتي واكتسبنا بعض الخبرة إن لم نقدر على أن نكون معدين أو مراسلين أساسيين فلنكون تحت التدريب، هذا مكسب كبير لنا ويُعتبر بداية طريقنا الإعلامي.

- لا بأس.. فلنذهب حتى لو قبلونا تحت التدريب نتحمل العمل بضعة أشهر بلا مقابل مادي، فقد تحملنا سنيناً بدون مقابل مادي، ولكن في تلك المرّة سيكون هناك مقابل أكبر من أي مقابل مادي وهو أن نتعلم شيئاً صحيحاً وبعدها يمكننا إثبات كفائتنا، ونحظى بما نُريد.

أطرق حسن ضحكةً صغيرة قائلاً:

- يُبهرني تماثُل أفكارنا.. سأهاتفهم وسأخبركِ عما فعلت لحظة بلحظة.. طاب يومكِ يا ياسمين.

- طاب يومكَ يا حسن.

أغلق حسن الخط ثم ضغطَ على الرقم الذي أرسله له صديقه

والذي كان في الرسالة مميزاً باللونِ الأزرق فظهرَ الرقم على شاشة الاتصال وحدث القناة ليأتيه صوت أنثوي شديد الرقة طلبَ منه تسجيل بياناته وبيانات زميلته ثم حددوا لهم موعداً في الساعةِ السادسةِ من مساء اليوم التالي.

أخبر حسن صديقته بموعدِ المقابلة وطلبَ منها إحضار السيرة الذاتية معها وهم ذاهبونَ، شَعر بالفرحة التي كانت باديةٌ على صوتها والأمل الذي كان يظهر من حديثها.

ارتدى حسن أفضل ما لديه من ثياب وارتدت ياسمين أيضاً أفضل ثياب وتقابلا في مكانٍ قريب من العنوان وذهبا سوياً.

الشارع مُظلم وهادئ، تستطيع الاستماع إلى خطواتك وأنت تسير، والعمائر مصطفة في صف واحد، والصف الآخر ليس به أي عمائر بل هو جدار يبدو لمبَني هام سفارة أو وزارة هامة أو ثكنة من ثكنات الجيش، تتبعا العمائر إلى أن وصلا لمُبتغاهم، على مطلع العمارة هناك رجلٌ عجوزٌ أشعث ما إن أطلقا عليه السلام الذي لم يرده عليهم، فنطق بجملةِ واحدة:

- الدور السادس..

فدخلا مدخل العمارة وصعدا بضع درجات تفصلهم عن المصعد قابلتهم فتاة جميلة ما إن رأتهم حتى أطلقت ابتسامة قائلة "الدور السادس" ضغط حسن على زر المصعد فأضاء الزر، ذلك أن الفتاة للتو خارجه منه، دخلا المصعد، كان ضيقاً بالكاد يتّسعُ لفردين، أرضيته خشبية، جوّه قاتم، ليس به لمبات نيون كجميع

المصاعد، فقط كان على أحد جوانبه لمبة من اللمبات القديمة التي تُنير باللّونِ الأصفر.

شعرَ حسن بالقلقِ الذي يسير داخل ياسمين فتضاعف قلقه الذي يسير داخله وحاول أن يواريه حتى تهدأ ياسمين قليلاً فأطلقَ ابتسامة فحاول أن يُطلق مُزحة ولكن صوت صرخات مدوية لا يعلم من أين يأتي جعل الكلمات تقفُ في حلقه تأبى الخروج وحلت مكان الابتسامة وجهٌ جامد مُترقب، ومن أَمامه ياسمين ترتعش ارتعاداً، زاد ارتعادها وارتعاده هو الآخر حين أصبحت اللمبة تومض وفجأة توقف المصعد فاقترب حسن بيدِ مُرتعشة يحاول فتح باب المصعد وباليد الأخرى كان مُمسكاً بيدِ ياسمين التي كانت على وشكَ أن تفقد وَعيها.

فتح الباب فعلم أن توقفه ما هو إلا إعلان لوصولهم للطابقِ السادس وعِندما رأت ياسمين الباب يفتح هدئت ارتعاشتها بعض الشيء وهيَ تُمسك بيدِ حسن هامّين بالخروجِ، وما إن خرجا من البابِ حتى اصطدما برجِلِ أشعث آخر، ولكنه شابّ ضخم البنيان بشرته سوداء إلى أقصى ما تتخيلوه فانتفضا فزعاً، لتظهر ابتسامة على وجه الرجُل قائلاً:

- تفضلا.. تخطاه حسن وياسمين مُنكمشين ثم سارا في ردهة طويلة في شقة واسعة فوق بابها لافتة مضيئة كُتب عليها قناة (PLE) باللّون الأرجواني.

دخلا من الباب كان هناك فتاتين حسنتين المظهر، طلبوا منهم

الجلوس ثم أتت أحدهم تحمل استمارتين أعطت واحدة لياسمين والأخرى لحسن، كانت الاستمارة عادية كجميع استمارات التعارف التي يملئُها كلّ من يقدّم على عملٍ إلا من سؤالٍ واحد جعل كلًّ منهم ينظرَ للآخر "هل أنت على استعداد أن تعَمل مَع الشيطان"

همّ حسن على سؤال إحدى الفتاتين مُستفسراً عن هذا السؤال الغريب لولا أنها لاحظت تقاسيم وجههم المتعجبة فبادرت بالحديث قائلة:

- لا أعلم لماذا سؤال كهذا موجود في استمارة التعارف ولكن هذا ما أصرّ عليه (خالد) بيه صاحب القناة.

نظراتُ الحيرة والشك بادية في أعين ياسمين وحسن، همست ياسمين في أذن حسن:

- لا أريد العمل في ذلك المكان، فلننصرف.

صمت حسنِ قليلاً وتذكر شيئاً كان قد قرأه في إحدى كتب علم الأرقام فهمسَ لياسمين قائلاً: اختاري نعم، وسوف أخبرك بالأمر برِمته عندما نُغادر المكان ثم أمسك بالقلم واختار نعم، ولكن ياسمين همست له:

- أياً كان الأمر فلن أختار نعم وأشارت على لا .

سلما الاستمارات لإحدى الفتاتين لتدخل بها إلى ردهة طويلة في

أخرِها غرفة مغلقة ففتحتها ودخلت وما هيَ إلا ثوانٍ حتى عادت لهما ثم قالت وهيَ تُشير إلى المكتب:

- تفضلي يا أستاذة ياسمين للمقابلة الشخصية.

نظرت ياسمين لحسن لعله يُهدأ التوتر الذي بداخلها، فابتسم لها وفي عينيه نظرة تقول لا تقلقي ولكن بداخله يخشى كثيراً عليها من القادم.

دخلت ياسمين إلى المكتب توقعت أن ينهالوا عليها بالأسئلة عن أعمالها السابقة وخبراتها ومهارتها الشخصية ولكن لم يحدث ذلك فقط سألوها سؤالاً واحد "لما لا تُريدين العمل مع الشيطان"

تلعثم لسانها ولن تدري بما تُجيب فلم تكن تتوقع سؤالاً كهذا، فلاحظ الجالس أمامها ربكتها فقال لها:

- أراك ذات خبرة في مجال الصحافة والإعلام وأظنك تعلمين أنك يجبَ أن تصلي للخبر بأي طريقة مشروعة كانَت أو لم تكنَ مشروعة، أوقات تضطرين إلى الكذب وكثير تضطرين إلى النفاق وبعض الأحيان إلى الخداع وكل هذا من الصفات التي تميز الشيطان عن غيره من المخلوقات.

كان ذلك الرجُل يحدثها بالمنطق وهيَ تعشق ذلك الحديث وتراه أمثل أسلوب للحديث فدائماً يستفاد طرفين الحديث حتى وإن كانت مختلفة وجهة نظرهم فتحمست للحديث قائلة:

- أعترف بكل ذلك ولكن هناك اختلاف كبير بيننا نحن الإعلاميين والصحافيين وبين الشيطان، نحن نستخدم دهائنا ونضطر للكذب والنفاق والخداع، لنُبين الحقائق ونُزيح الغمامة عن الناس، بينما الشيطان يستخدم ذلك ليلقي بالغمامة عليهم، فلك أن ترى أن لكلٍّ منا غاية عكس الآخر فإن تعاونا يا ترى سنخدم غاية من غايتنا أم غاية الشيطان.

صمت الرجُل قليلاً، فقد كان حديثها بمثابة قصف لجبهته ثم قطع الصمت قائلاً:

- أتُحبين لو تُصبحين من أشهر الإعلاميين، أتريدين الحصول على أموالاً طائلة، أتريدين أن يصبح لكي كلمة يسمعُها الجميع وتكونين أكبر من المسئولين عن دولتكم.

- بالطبع أريد ذلك.. فطموحي لا ينتهي.

- عظيمِ.. فيمكن أن يكون الأمر تبادل غايات أنت تُحققي غايته وهو سيحقق غايتك، أنت في الشُهرة والمال والنفوذ أما بالنسبة للحقيقة سوف تقومين بإيصالها للناس ولكنك ستعيدين صياغتها ولا مانع من بضعِ قليل من التضخيم والكذب.

- وكيف تصبح حقيقة حين ذاك؟

صمتَ الرجُل قليلاً وعلم كم هيَ عنيدة ومؤمنة بما تفعل، فهمهم ثم قال:

- ستقولين الحقيقة كما هيَ ولكنك سوف تُضيفين بعض الكلمات كتحليل للحدث وتوجهين الحقيقة لدعم شخص أو لوأده كما يريد الشيطان.

- هكذا سأصبح كالمارونيت في يده.

- ليس الأمر كما تظنين، ولكن فقط ستخدمين غايته ولا تنسي أنه سيخدم لغايتكِ.

- وأين أنا.. أتظن أنني عندما أخسر نفسي وإرادتي وحُريتي سأصبح سعيدة بحفنةٍ من الأموال وبعض الشُهرة الواهية الكاذبة.

- لا تُصعبي الأمر وحَكِّمي عقلك، إن رفضتي الأمر فلسوف تظلين من أغمر المغمورين ولن تصل حقيقتك لأحد وسوف تخسرين حلمك.

- أكُلّ المشهورين تعاهدوا معكم؟ أقصد مع الشيطان؟

وقتها نظر لها الرجُل بغضبٍ ثم قال منفعلاً:

- ليس جميعهم ولكن كثيراً منهم ونسعى للباقي.

فأطرقت ياسمين ابتسامة خفيفة قائلة:

- إذن هناك أمل أن أصل لمبتغايَ دون الحاجة لكم. سوف أعاني أعرف ذلك، ولكني سأصل.

وما إن أنهت جملتها حتى خرجت مُنفعلة وما إن وجدت حسن يجلس بالخارج حتى قالت بغضبٍ شديد:

- هيّا بنا لنترك ذلك المكان البغيض.. الأمر ليس كما حلله صديقك، الأمر أنهم فعلاً يعاونون الشيطان ولعلّك تعلم رمز (666) هذا يدل على ماذا.

نظر لها حسن قائلا:

- علمت ذلك فور أن رأيت السؤال ولكني أريد الشُهرة والأموال والنفوذ ولا يفرق معي سأتعاون مع مَن.

تركته غاضبة مُتجهة إلى الخارج وهيَ تقول:

- لم أكن أظُن أنكَ كذلك.. إنني نادمة على معرفتك.

دخل حسن لرئيس القناة وقال له دون أي أسئلة أنا معكم وسأعاون من تريدون لكي أصل إلى مُبتغاي وما أريد.

أطرق الرجِل ضحكة فبادله حسن نفس الضحكة ليقول "اتفقنا"

في ذلك الوقت أخرج الرجِل من دُرج مكتبه مشرطاً ووثيقة مكتوبة على جلد يبدوا غريباً ملمسه يشبه ملمس الجلد الآدمي، ليقول الرجِل "بضع قطرات من دمك".

أمسك حسن المشرط وقام بجِرح نفسه وأسقط بضع قطرات من دمه على الوثيقة ليبتسم الرجِل ويقول:

- أنت الآن منا.. وبيننا وبينك ميثاقاً لا يُفك.

وما إن أنهى الرجِل جملته حتى سمع كلَّ مَن في المكان صوت صرخات أنثوية ليقول الرجِل:

- كانت غبية.. لا تعلم أن الحقيقة لا تصل كاملة في الدنيا، فقط موجودة في الآخرة.

قام حسن يجري للخارج ليرى المصعد غير مُتواجد بالدور وفي الأسفل هناك جثمان لفتاة مسجي وغارقاً في دمائه، نظر لأعلى ليجد رجلاً له هيئة بغيضة يبتسم له ابتسامة خبيثة تفوح منها رائحة الشر فطأطئ رأسه ونظر لرئيس القناة الذي اتبعه عندما خرج قائلاً: متى سنبدأ العمل؟

(3)

استحسن الجميع قصة (إبراهيم وهبي) إمّا مجاملةً أو تشجيعًا أو لأنها أعجبتهم، إلا (صفاء) التي زمّت شفتيها امتعاضًا.

سألها (إبراهيم) بوجل :

- ألم تعجبك؟

ردَّت (صفاء) بضيق:

- أكره القنوات الفضائية.

أطرق (إبراهيم) حزنًا، و لم ينطق بحرف.. ضحكت (صفاء)، وقالت بمرح :

- أمزحُ معكَ.. لقد أعجبتني.

تبدَّلت ملامح الحزن على وجه (إبراهيم) إلى فرح.. بادلته (صفاء) الابتسام، ثم أشارت إلى (رحاب) لتُعيد الاقتراع على أن تبدل ورقة (إبراهيم وهبي) بورقة (محمد مسعد).

صمت الجميع حذرًا.. فصرخت (رحاب) قائلة :

- (محمد مجدي يوسف)

قالت صفاء مُداعبة:

- إن لم تُعجبني قصتك، سأقذِف بكَ خارج القطار.. اتفقنا؟

فبدء (مجدي) بإلقاء قصته..

(4)

أوراق الجحيم

لم يبدو على (مجدي) المفاجأة، وكأنه كان ينتظر ذلك. ولكنه ابتسم لدعابة (صفاء).

على الفور أخرج من جيبه أوراق لعب غريبةُ المنظر، لم يراها أحدٌ من قبل، كانت ظُهورها سوداء اللون مرسومٌ عليها جماجم بيضاء، ولم يرى أحد وجه تلك الأوراق.

تساءلت (صفاء):

- ما تلك الأوراق؟!

ثم أضافت مازحة:

- أنا لا أقامر.

ضحك الجميع، بينما اكتفى (محمد مجدي) بالابتسام قبل أن يتحدث:

- لن أروي قصة، وإنما سوف أقُص عليكم قصص تتعلق بأحدكم، تتعلق بمصيره، ربما أكون صادق، ربما أكون مخادع.. لن تعلموا، فقط الزمن هو ما يحدد مدى صدقي.

تنحنح (عمرو) قائلاً:

لقد بدأت تُقلقني، أعتقدُ أنك تحاول إرهابنا لا أكثر.

- ربما..

قالها (محمد مجدي) مبتسماً، ثم لوّح بالأوراق أمامهم متابعاً:

- لتلك الأوراق قصة، لن ابدأ بها، وربما لن أذكرها، كل ما عليكم معرفته أن تلك الأوراق كانت ملكاً لساحر، ساحر حقيقي. ولكنها الآن ملكي. هيّا فلنبدأ، من يريد أن يشارك؟

تردد الجميع للحظاتِ قبل أن يرفع (محمود علام) يده قائلاً:

- أنا.. ولكن أولاً أريدُ أن أستفسر عن شيء، بما أن تلكَ الأوراقُ ملكٌ لساحر، كيف وصلت إليك؟

- لقد ذكرت أن لتلك الأوراقُ قصة لن أرويها الآن..

كانت جملة (محمد مجدي) حازمة لم تدَّع مجال لـ (محمود علام) أن يُجادل. قام (محمد مجدي) بفردِ الأوراقُ مقلوبةٌ على الأرضِ على شكلِ قطار، وطلب منه أن يَختار إحدى الأوراق ويظهرها أمام الجميع.

فعلَ (محمودِ علام) ذلك، لتظهر الورقة التي اختارها أمام الجميع، وهيَ كانت عبارة عن صورة للأرضِ مشققة، والسماء يعمها الظلام، بينما هناك ثلاث سيوف تشع ضوء في منتصف الأرض المتشققة.

تطلَّع الجميع إلى الورقةِ دونَّ فهم، بينما قال (محمود علام):

- أ نا لا أفهمُ شيئاً، ماذا تعني تلكَ الورقة؟

ابتسم (محمد مجدي) مُجيباً:

- هذه ورقة سيوفُ الضوءَ الكاشف.

ضحك (إسلام وهيب) مُعلقاً:

- أليسِت تلك الورقة في لعبة (يوجي) الشهيرة؟ أنا أعرفُها جيداً، فهيَ تمنع الخصم من الهجوم لثلاث دورات.

ثم أضافَ ساخراً:

- هل أتيتُ بتلك الورقة من عالمِ الظل؟

ضحك وحده، فلم يكن الجميع متابعاً للُعبة يوجي أو الأنمي الشهير الخاص بها، فلم يفهم دعابته أحد سوى (محمد مجدي) الذي لم يتخلَّ عن ابتسامته قائلاً:

- بل من عالم الجحيم، ورقة سيوف الضوء الكاشف تلك لها قصة قديمة، واستغل الأجانب تلك القصة في الأنمي يوجي، واختراع مدينة الظل.. بينما تلك الورقة من مدينة الجحيم.

لم يعلق أحد، لقد جذب الحديث انتباههم، فتابع (مجدي):

- قديماً، كانت الأرضُ ملكاً لعالم الجحيم، حتى أتى البشر ليحتلوا العالم الخاص بهم لتتكَون عداوة بينهم، لا أقصد هنا الجن، وإنما هم كائنات أخطر بكثير، ويتعاون معهم الجن. دارت الحرب بين البشر وتلك الكائنات، كائنات الجحيم.وكان النصر حليفاً لهم.. ليعمّ الظلام، فكائنات الجحيم لا تعيش في الضوء.. ثم فجأة وفي نشوة انتصارهم، سقط من السماء سيوف مضيئة لتخترق الأرضَ، كما ظهر في الورقة، ويعمّ الضوء علَى المكان، فهربت كائنات الجحيم إلى أسفلِ الأرض، وتبخرت السيوف لتندمج مع السماء وتُضئ هذا الكوكَب.. وحتى يومنا هذا تختبئ كائنات الجحيم، وترسل جواسيسها من الجن الخفي ليتفقد الأمر، وعندما يعمّ الظلام على الكوكب سوف تصعد للسطحِ مرة أخرى.

علق (محمود علام) وقد اندمج مع القصة:

- إذن لا يوجد خطر علينا الآن منهم.

- من قال هذا؟ إنهم يتوغلون إلينا عن طريقنا نحن.. ممارسة السحر الأسود تجلب لنا لعناتهم، وعندما تنكسر تلك السيوف الثلاث، سوف يخرجون إلينا مرة أخرى.

ثم يمد يده بورقةِ سيوف الضوء الكاشف ليعطيها إلى (محمود علام) قائلاً:

- هكذا وصلنا إلى النهاية. وتلك الورقة أصبحت ملكك، فلتأخذها.

يبتعد عنها (محمود علام) قائلاً:

- لا لا.. أنا لا أريدها، ربما تكون ملعونة.

تتسع ابتسامة (محمد مجدي) أكثر قائلاً، وهو يخلط الورقة مع باقي الأوراق:

- ها أنت تكسر أول سيف من السيوف، فعندما تسحب تلك الورقة، يجب أن تحصل عليها في النهاية وإلا انكسر سيف منها.

ثم يفرد الأوراق أمام وجهه هو بحيث لا يراها أحد غيره، ثم ينتقي ورقة السيوف مرة أخرى ويريها إليهم، حيث أصبحت السيوف سيفان فقط لا ثلاث، قائلاً:

- لقد أصبحت السيوف اثنان الآن.

تراجع الجميع إلى الخلف مندهشين، وشهق البعض، بينما قال (محمود علام) بصوت متردد:

- أنت تخدعنا، ربما تكون ورقة أخرى.

يخلط (محمد مجدي) الورقة مرة أخرى قائلاً بلا مبالاة:

- ربما، وربما أكون صادق. كان يجب عليك أن تقبل الورقة وتأخذها.

فلنفترض أنك صادق، فما زال هناك سيفان.. إذن فالبشر بخير.

قال (محمود علام) المقطع الأخير ساخراً، ولكن (محمد مجدي) أجاب بلهجة جادة:

- أنا لا أقلق على البشر، في الواقع أنا قلقٌ عليك، بل علينا جميعاً.

تطلع الجميع إليه متسائلاً، فتابع:

- لقد ذكرت من قبل أن عالم الجحيم يرسل إلينا لعناته، وعندما يتسبب أحد في كسر أحد السيوف أو يرفض أخذ أوراق الجحيم التي معي تلك، كما فعل (محمود)، يرسل عالم الجحيم إليه لعنة ما، لعنة قد تعني هلاكه وهلاك من حوله..

خيّم الصمت على الجميع، قبل أن تكسره (رحاب):

- وهل.. هل أوراقك تلك صادقة؟

أجابها (محمد مجدي) بقلق:

- حقاً لا أعلم، ففي تجربتي معها، قبلت هديتي، وهيَ أخذ تلك الأوراق، فلم يحدث لي شيء.. فالأمر الآن منوّط بالأوراق والزمن.. فربما أن تكون صادقة، وربما لا..

يتطلع إلى العيون المذعورة متابعاً:

- وربما أكون أنا كاذبٌ منذ البداية.

ثم يُعيد الأوراق إلى جيبه مرة أخرى.

(5)

صارَّ الجوّ مُشبع بالوجوم المخلوط بالخوف، غير أن رنين هاتف (هيثم) المحمول ارتفع لينتفض الجميع.. أجاب هيثم لتفاجئه صديقته الكاتبة (مروة المأذون) تخبره بأنها ستلحق بالقطار مع (منال عبدالحميد).

قالت (صفاء):

- لقد عادَّت (مروة) إذن من الخليج.. ستكون رحلة جميلة، فـ(مروة) كاتبة رعب قوية.

أيّدها هيثم بشدة، بينما سأل بعض الرفاق عن (مروة) وكتاباتها.

لم تمر سوى عشر دقائق حتى كانت (رحاب) قد أخرجت ورقة (محمد مجدي) ثم أعطت (صفاء) الأوراق لتختار صاحب القصة التالية..

ساد الترقُب بين الرفاق بينما كان (إبراهيم وهبي) و(محمد مجدي) يستمتعان بتوتر الجميع.

قالت (صفاء)، وهيَ تغمز بعينيها للحضور :

- (محمد مسعد)..

هتفَ (محمد مسعد) برجاء:

- فلتُأخري قصتي.. رجاءاً..

نظَرت له (صفاء) بضيق، فأكمل مستسلمًا :

- حسنًا.. سأبدأ حالاً..

اعتدل الرفاق، وباتوا مُنصتين له، فازدرد لعابه، وبدأ يحكي...

(6)

طباخ إبليس

أعتقدُ أنه قد حان الوقت لأخبركم بأعجب ما سمعتموه، قد تظنون بأن الأمر محض عبث ومزاح لكنها الحقيقة المؤلمة التي عايشتُها لسنوات، الآن أعيروني سماعكم لأخبركم بما حدث.. منذ أعوام وبراعتي في الطهي لا تُقارن، فقد أقسم الجميع على أنني طاهٍ لا مثيل لي وباستطاعتي أن أصنع وليمة فاخرة من لا شيء !

أعملُ في أحد المطاعم الراقية والتي يرتادها البعض من أصحاب المقام الرفيع.. ذات ليلة طلب مني مدير المطعم مقابلة أحد الزبائن فما كان مني إلا أن ذهبت إليه لأستوضح الأمر، خمسيني أشقر أشبه ما يكون بنجوم هوليود، على شفتيه ارتسمت ابتسامة عجيبة لم أتبين معناها إلا بعد الكارثة.

- أنت مَن أعدَدت هذا الطبق السيَئ؟

اللّعنة! من يكون هذا الشخص ؟ انه أول شخص لا تُعجبه أطباقي الخاصة التي أعدها.. حاولت أن أبقى على هدوء أعصابي مادام الزبون دائماً على حق فلا سبيل لنقاشه أو إبداء أي اعتراض ، اعتذرت له وأخبرته أنني في المرة المقبلة سأحاول أن أقدم له ما يناسب ذوقه، غادر المطعم واستكملت عملي، حتى انتهى وقت عملي لأعود إلى منزلي بينما كانت الساعة تعلن تمام الواحدة صباحاً.

في الطريق وللمرة الأولى ينتابني الخوف، سيارة سوداء تقترب مني، تتعالى دقات قلبي معلنة نذير شر يقترب، زجاج السيارة يفتح كي أرى وجهه، تكتفي الظلمة وأغيب عن الوعي، أفيق فلا أدري متى الوقت ولا أين أكون لكنني أوقن بأنني داخل مطبخ كبير، أصوات أقدام تقترب مني فاعتدلت لأستكشف الأمر، انه زبون المطعم الذي لم يُعجبه الطبق، ولكن وجهه يختلف تماماً عن السابق، عيناه حمراوين كجمرتين من نار وقد نبت على رأسه قرنين كبيرين.

- لا تخف ولا تقلق.. أنت هنا الآن في مُهمة لابد لك من أن تُنهيها.

- مَن أنت؟ وكيف أتيت إلى هنا؟ وما الذي تُريده؟

أخبَرني بأنه أمير من أمراء مملكة الشيطان وبأنه يعلم تمام العلم بأنني على مقدرة لإعداد أفخر الولائم من أي خامات تتوافر، وكانت الطامة الكبرى حينما أخبرني بأنني لابد لي من إعداد وليمة فاخرة ستُقام على شُرف سيدهم الأكبر عزازيل.

اللّعنة! هل سأعدّ طعاماً للشيطان؟ وهل تأكُل الشياطين؟ لن أقبل بتلك المهمّة الملعونة..

هذا قرار اتخذته وكأنما كان يعلم ما يجول بخاطري فعاجلني قائلاً:

- لا تتخذ قرار قد تندم عليه طوال حياتك..

أشار إلى جانب الغرفة كي أرى ثلاثة من أصدقائي مُقيدين في وضعٍ مقلوب عجيب وكأنما قد فارقوا الحياة.

- سيبقون هكذا حتى تنتهي من إعداد الوليمة، وإن لم تعجب مولاي عزازيل فلن تغادروا هذا القصر أبداً.

إنها النهاية ولا ريب.. ليست نهايتي وحدي وحسب، ثلاثة من أصدقائي ستكون نهايتهم بسبب براعتي في عملي، لابد أن أقوم بهذا الأمر وليكُن ما يكون حتى أخلصهِم من قبضة هذا الملعون، المشكلة الكبرى أنني لا أدرى ما َهيَ الأصناف التي سيتناولها إبليس ِوتابعيه، لم أكد انتهى من تفكيري حتى وجدّت أمامي ثلاثة جِثث لرجال في عقدهم الثالث وإلى جِوارهم جُثة فتاة في بداية عقدها الثاني.

- أريد وليمة شواء فاخرة وحساء لم يتناوله أحد من قبل.

هكذا تحدث إليّ فأجبته بتحدٍ واضح:

- سأعد لك ما تشتهي وما لم تكن تتوقعه ولكن لي شرط واحد لا تنازل عنه.

- ومن تكون حتى تُملي عليّ شروطٍ أيها البشري.

-أنا من سيصنع لك مائدة لم ولن يرى سيدك مثلها.

-وما هو شرطك؟

أريد أن تُعيد أصدقائي إلى عالمهم وأن تتعهد لي بأن لا تُجبرني على القيام بهذا الأمر مرة أخرى مهما حدث إذا أبدى سيدك إعجابه بمائدتي.

- وإذا فشلت؟

- حياتي تكون ملكٌ لك ويحق لك قتلي وقتها.

- لن تُقتل وحدُك.. سأقتل أصدقائك أيضاً.

- إذن أكتب عهداً بهذا الذي اتفقنا عليه..

تمِ الأمر كما أردَّت وأعاد أصدقائي ومن ثم باشرت العمل، أربعة جُثث قام أحد الشياطين بسلخِ جلودهم بعدما نحرهم وجمع دمائهم في قدر فخاري كبير، أمرتهم أن يحضروا قائمة طويلة بها عدة أنواع من البهارات والتوابل والخضروات والفواكه الطازجة، أعددت شرائح اللّحم وجهزتها للشواء بينما أقوم بإعدادِ حساء من الدماء جعلته يشبه حساء البصل الفرنسي الشهير، صنعت لهم طبق من الأمعاء بعدما طهوته في صلصة خاصة جعلت كل من يقف إلى جواري من الشياطين يتطلع إليها، ثم صنعت عدة أطباق مستخدماً كل ما تبقى من لحمِ المساكين الأربعة، وجعلت النهاية مع أطباق الحلوى، مَن كان يتوقع أن أعد للشيطان قالب حلوى على صورة أفعى عملاقة لها قرنان! لسَتُ أدرى ما الذي دفعني لأصنع القالب على تلك الصورة، ربما يتعلق الأمر بمعنى دفين في صدري لمَ أكن أوَد أن أفصح عنه لأحد حتى يتأكد لي صدق ظني.

انتهيت من إعداد الوليمة وجلست أنتظر حتى يأتِي المدعوّن، أشرفت بنفسي على تزيين المائدة وإعدادها وما هيَ إلا دقائق وبدأت الشياطين تتوالى على القصر وهم في أبهى زينة استعداداً للقاء كبيرهم، تعجبت من هيئته ما إن رأيته بهيئته المخيفة هو وأبناءه وأتباعه فانصرفت لأتابع شئون المطبخ ولأنتهي من تلك الوليمة الملعونة، كان قلبي يخفق ويكاد يتوقف مع كل طبق يُقدم إليه حتى انتهت الوليمة ولم يبقى سوى تقديمِ طبق الحلوى والذي ما إن وضِع أمامه حتى طلب من مُضيفه استدعائي.

- لِمَّ..؟

تلك هيَ أولى كلماته لي ما إن وقفت أمامه، خيّم الصمت والترقُب على الجميع لانتظار ما هو آتِ.

- أعتقد بأنكَ تعلم ما أوّد قوله دون أن أفصح عنه.

صمتَّ لدقائق أحسستها كسنواتِ لا تود أن تنتهي حتى تحدث من جديد.

- هل أخذّت منه عهد بأن لا يُعيدك إلى هنا مرة أخرى؟

- بالطبع.. ولكن أعلم أنه لن يلتزم به إلا إذا أمرّته أنت.

- أنت ذكي جداً لذا سأجعله يلتزم بما اتفقتما عليه، وسيكون عليّ أن أحضر إلى عالمكم بين الحين والآخر لأتذوق ما تصنعه من أطعمة تقدمها للبشر.

كلماته تلك تعنى أنني قد وفِّقت في مهمتي وقدمتُ له وليمة لم يَسبق له أن تذوقها من قبل وهذا أيضاً لا يعني سوى أنني أصبحت "طباخ إبليس".

(7)

هنئ الرفاق (محمد مسعد) على قصته، غير أن ملامح الاشمئزاز ظهرت على وجه (صفاء) دبّ القلق في قلب (مسعد) فسألها بحذر:

- ألم تُعجبكِ القصة؟

ردَّت (صفاء) بوجوم:

- بلى أعجبتني.. حتى أنني أشعُر بالغثيان!

ثم رفعت عينيها إليه، وهيَ تقول بحسم:

- لن آكُل من صٌنع يديك مرة أخرى..

قبل أن يرد (محمد مسعد) فُتح باب العربة فجأة.. ليدخل شاب يافع الطول، يحمل حقيبةً يبدو عليها الثُقل، فوضع حقيبته أرضاً، ثم أفسح لنفسه مكاناً بينهم دون أن ينظر إليهم.. نظر له (عمرو مرزوق) وسأله بهدوء:

- مَن أنت؟ ومن سمح لك بالدخول؟

رد الشاب ببساطة:

- اسمي (أمجد عبِدالمجيد).. أمّا مَن سمح لي بالدخول فبالتأكيد تذكرتي.. والتي جعلت لي الحق في اقتناء هذه العربة..

وبالصدفة كان ممسكاً بتذكرِته التي ناولها لـ(عمرو)، تأمّلها (عمرو) وأعلن أحقيّته بالتواجُد معهم في العربة.. حلَّ الغضب مكانِ المفاجأة، ونطقت ألسنتهم بالاستنكار، وكان أكثرهم غضباً هيَ (صفاء) التي قالت:

- ألم أقُل لكم أن تحجزوا العربة كاملة؟

أجابها (إبراهيم وهبي) مطرقًا:

- لم يكن ذلك ممكناً، فهناك العديد من الحُجوزات المسبقة على طول القطار..

صمتت على مضض، تقبّل (محمد مجدي) الموقف بسهولة، فقال لـ(رحاب) وهو يُشير نحو الأوراق التي بيدها:

- انزعي ورقة (محمد مسعد) و هيّا لنقترع.. ناوليني الأوراق.

ناولته (رحاب) الأوراق فتناولها بسرعة، واختار ورقة ليفتحها بطريقته المُزاحية، ثم هتف قائلاً:

- (مروان محمد)..

قاطعهم (أمجد) باستغراب:

- لماذا تقترِعون؟

شعُرت (صفاء) بمدى وقاحته.. فكيف يتدخل فيما لا يعنيه، ويسأل بهذه الصفاقة.

لاحظ (أمجد) ما يدور، فسأل ببساطة :

- أأنتم مسافرين إلى أسوان؟

هزَّ (محمد مسعد) رأسه إيجاباً..

فأكمل (أمجد):

- يبدو أنني سأشارككم سفركم، فكما تعلمون أن امتحانات الفصل الدراسي الأول قد انتهت.. فاستغليت تلك الفرصة لأخذ جولة ترفيهية قبل بدء دراسة الفصل الجديد، فأنا لازلت في عامي الثالث من كلية التجارة بجامعة الأزهر.. وها أنا مُتوجهاً إلى أسوان وهذا يعني أنني رفيقُ سفرِكم، فلنجعل الرحلة الترفيهية تبدأ على متن هذا القطار وأشركوني معكم..

فصمتَ وهو ينظُر لهم مبتسماً في هدوء.. فكان أول المتحدثين هو (محمد مجدي) الذي قال ببساطة مماثلة:

- ولما لا..؟!

منحته (صفاء) نظرة نارية، ثم أشاحت بوجهها مُعترضة بصمت..

لاحظ (أمجد) غضب (صفاء) فابتسم لها عناداً موجهاً كلامه إلى (محمد مجدي) قائلاً:

- شكراً لكَ يا صديقي..

شرح له (مجدي) قواعد اللعبة بسرعة، ثم أشار لـ(مروان) ليبدأ.

ازدرد مروان لُعابه وقال:

- هذه أول قصة رعب لي، لذلك فهيَ لن تكون على المستوى المرغوب.

لم ينتظر منهم تعقيباً، وبدأ يحكي بصوتٍ ملول..

(8)

منذ ثلاث سنوات

كالعادة كلِّ يوم أستيقظ على صوت الهاتف الجوال، لقد اختُزلت جميع وظائفه في أن يتحول إلى منبه وساعة وأيضاً مُشغل للأغاني، ألتقطه من على المنضدة المجاورة للفراش، أنهض بسرعة، إنها السادسة صباحاً حيث يجب أن يبدأ يومي الآن والذي سينتهي قبيل الغروب بساعة كاملة، روتين اعتدت عليه طوال الثلاث سنوات الأخيرة.

فأنا تقريباً الإنسان الوحيد الذي بقى عاقلاً على سطح هذا الكوكب، أو هكذا أتصور، لا أعرف هل المفروض أن أشعُر بالفخر لأني أصبحت الأوحد، وهل يعد كوني الكائن العاقل الوحيد ميزة حقاً؟ أم يجب أن يَدفعني هذا إلى مزيد من الاكتئاب، لا يسعني سوى ضحكة مبتورة مريرة وأنا أتجه إلى الحمام، أغسل وجهي، أتناول المنشفة أجفف وجهي المرهق البائس، أسحب نفس عميق ثم أتجه إلى غرفة نومي مرة أخرى لأمسك ببندقيتي الآلية.

أغادر بيتاً من طابقٍ واحد، تُحيط به حديقة واسعة من جوانبه الأربعة، يحيط بالحديقة سور حجري مرتفع ربما أكثر من ثلاثة أمتار، أتطلَّع لأشجار غابت عنها الطيور، أشياء كثيرة لم تعُد تحدث منذ ثلاث سنوات، وعلى الرغم من بساطتها الشديدة إلا

أنه تبين الآن كم كانت مؤثرة وضرورية لاستمرار إيقاع الحياة الطبيعي.

أتجه إلى البوابة الحديدية، أفتحِها لأستقبل شارع تُرابي مبتسماً بسخرية، ولا يحدوني أي أمل في أن أرى كائن عاقل غيري، أتجه للسيارة نصف النقل (تويوتا) موديل السنة منذ ثلاث سنوات أيضاً، أدير محركها القوي، أقودها لخارج البيت، أغلق البوابة الخارجية من خلفي بعد تأكدي من إغلاقي لباب البيت نفسه رغم يقيني التام بعدم وجود أي دليل على بقاء كائن عاقل على وجه هذا الكوكب، ولكني أفعل هذا بحكم العادة، عادة الحياة الأولى، فهذه أسميها الحياة الأخرى.

اتخذت مكاني خلف عجلة القيادة، أعرف وجهتي اليومية التي لا تتغير، سأذهب إلى السوبر ماركت الذي لن أجد فيه أحد، أتبضعُ من بضاعة بقيت على الرفوف لثلاث سنوات حتى انتهت صلاحية أغلبها ولكن لا مفرّ، توقفت الحياة على هذا الكوكب منذ ثلاث سنوات كاملة وأصبحت أنا الوحيد المستمر فيها كأن هناك من يِعاقبني ويطلُب مني البقاء وحيداً على سطح هذا الكوكب.

أشغل بعض الأغاني المحفوظة في الهاتف الجوال، أغاني قديمة، أغاني الثمانينات والتسعينات التي أحبها كثيراً.

سآخذ ما يلزمني من البضاعة لما أحتاجه لليوم فقط وغداً أعود لأفعل مثل هذا الأمر وكما دأبتُ على فعله لثلاث سنوات، هذه

هيَ نُزهتي اليومية، أمُر بالمباني الخاوية ونوافذها المهشم معظمها والسيارات والحافلات والناقلات المتصادمة في شكل فوضوي مذهل، وإلى النباتات والأشجار البرية التي ترعرعت بين السيارات المتصادمة والتي خرج بعضها من مداخل العمارات ومن بعض النوافذ ومنها من شق الإسفلت بشكلٍ غريب مذهل وقد تحوّل بعضها لأشجار كبيرة ونباتات متسلقة تُغطي أعمدة الإشارات وواجهات المباني حتى وصلَتْ إلى أسطح العمائر.

لم يعُد غريباً أيضاً أن أصادف في طريق نُزهتي القصيرة هذه بعضٌ من الحيوانات النباتية والمفترسة وهي تسير في الطرقات، اعتدّت كل هذه الأمور لثلاث سنوات وأن أتعثر وأنا أخرج من سيارتي في بقايا حيوان ما، ربما هو كلب أو ثعلب أو حتى بقايا نمِر ما، كان فريسة لهم أمس، دماءه تتناثر حوله في كل اتجاه وبقى من وجهه عينين فزعتين.

أدخُل إلى السوبر ماركت أجُرّ إحدى العربات وأنا أضحك سخرية من نفسي، إطارات العربة الحديدية تُصدر صرير مزعج والعربة تهتز في سيرها، ألقي بها البضاعة الأبعد عن تاريخ انتهاء صلاحيتها أو التي تجاوزتها بأربعة شهور أو خمسة.

ثم أتجه إلى (الكاشير) الخالي ألقي عليه السلام، أتجه للخارج لأضع البضاعة في الصنّدوق الخلفي للسيارة.

سلاحي مُعلقاً على ظهري على الرغم من ثقتي بأنهم لا يتحركون نهاراً ولكن لا بأس من الاحتياط، يتحركون ليلاً وتحديداً عند الغروب ولكنه هوس الاحتياط.

وأنا أضع زجاجة المياه في الصندوق الخلفي للسيارة استرعى انتباهي صوت أقدام تتحرك، هذا الأمر لم يكن طبيعياً، قبل ثلاث سنوات هو فعل طبيعي للغاية لن يلفت نظري ولكنه الآن خطيراً، التقطُّ سلاحي وأنا أتلفت حولي هل هو أسد ما؟ يترصدني ويعتبرني فريسة يومه.

ولكنني أستطيع أن أميز صوت تحرّك الحيوانات بكافة أشكالها وهذه ليست إحداهما، هل هناك عاقل غيري؟

كنت أتلفت حولي كالمجنون وأنا ملتصقاً بالسيارة، أصوِب فوهة بندقيتي الآلية للاشيء، حتى صدر صوت هذه الأقدام مرة أخرى والتي تتحرك هذه المرة بسرعة.

الصوت يصدر من المبنى المقابل إلى يساري، وتحديداً من مدخل هذا المبنى المظلم، اقتربت في حذرٍ من مدخل المبنى ولكني أبقيتُ على مسافة واسعة بيني وبين مدخل المبنى، أميلُ رأسي أكثر لليمين، محاولاً أن أتبين ما سر هذه الجلبة؟

اللَّعنة! لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً، هذا هو الكابوس بعينه، انه أحدهم.. هو بالفعل أحدهم.

يقف في منتصف مدخل البناية بصلعته اللامعة وعينيه الواسعتين وشفتيه التي تفرجان عن أسنان حادة صفراء ولسان يلهث، وصدرٌ يعلو ويهبط بِسرعة، ينظر إليّ بشراهةِ غير مُصدق لوجود عاقلٍ مثلي وأنا غير مصدق لوجود مثله في هَذا التوقيت تحديداً، فهُم في هذا الوقت المفترض أن يكونوا نياماً، إنهم

ينشطون ليلاً فقط.. عيونهم وبشرتهم لا تحتمل أشعة الشمس، كان يواري فقط عورته ببقايا بنطال ذهب لونه، يكاد يكون أسود اللون من فرط قذارته، كان يضُم قبضتيه، يتمنى أن يخرج إليّ ولكنه لا يستطيع، رفعت رأسي من على المسند الخشبي للبندقية الآلية.

اتأمّله في ذهُول متمنياً أن ما أراه هو مجرد كابوس سيزول، يحاول أن يتقدم، يتردد ويتراجع حتى لا تُلامس قدماه المسافة الفاصلة بين الضوء والظلمة، الفضول يقتُلني، هل سيفعلها؟

يظهر من خلفه اثنين آخرين، عيونهم تنظُر إليّ بنفس الشراهة والغيظ، يجزون على أسنانهم بغيظ، يطلقون زمجرات خافتة تتعالى فيقبل آخرون إلى المدخل المُعتم ومنهم نساء لا شعر لهن ولكن أُميزهن من خلال صدورهن وأفخاذهن.

الأول يتجرأ ويأخذ تلك الخطوة المستحيلة ويقف على أعتاب الخط الفاصل بين الضوء والظلمة يرفع يده اليمنى أعلى جبهته يقي عينيه من أشعة الشمس، لا يِصدق أنه فعلها والآخرون وحتى أنا.

تتعالى زمجرتهم وهمهمتهم، يشجعونه على مزيد من التقدَّم، هل بدأت طبيعة أجسادهم في التغيّر خلال هذه السنوات الثلاث وستتكيّف مع أشعة الشمس.

هذا يعني أمر واحد أنه لم يعُد من الممكن اقتسام العالم معهم بعد الآن، فكان الاتفاق الغير مُبرم أن يكون النهار لي والليل لهم، الآن هم يطمعون في النهار أيضاً.

يتقدم خطِوتين وهو يرفع كلا ذراعيه أمام الشمس وقد بدأ الضوء يغمُر جسده، تتقلص ملامحه وتتشنج عضلاته وهو يزمجر هذه المرة في ألم، لا يتقدم أكثر، فعلَّت الخيبة وجوههم، رغم الظلمة لمحت خيبة الأمل على وجوههم.

أطلقتُ رصاصة في الهواء حتى لا أشجعه على مزيد من التقدم، تراجعوا جميعاً إلى الداخل حتى هو، وقفت لثوانٍ بدَّت طوال بمزيد من الفضول، هل سيخافون رصاصتي على الأقل ولا يقدمون على هذه المحاولة الكابوسية.

هذه المرة يطُل بنصفه العلوي فقط مُتحدياً الرصاصة وأشعة الشمس وعينيه تتوعداني بأن الأجل أصبح قريباً جداً وأنني عما قريب سأكون الفريسة، ولا شك في وضوح النهار، يجز على أسنانه.

أعصابي لم تعُد تحتمل المزيد من التحدي، نظرات عينيه تضغطان على أعصابي بقوة.

أعود أدراجي إلى السيارة أستقلها متحركاً وأنا ألقي نظرة أخيرة عليه وعلى جماعته قبل أن يغيب عني هذا المبنى، أقود السيارة نصف شارد، وأنا أدرك حقيقة مذهلة أن العالم لم يعد يكفى كلينا وهو بالتأكيد أصبح لهم، فأنا الوحيد الآن.

يلفت نظري بروز وجه امرأة منهم من إحدى النوافذ متحدية الشمس، تتابع بزمجرةِ عالية سيارتي التي تخترق الشوارع الصامتة وقد أصبح هديِر المحرك في رأسي عالياً، الوجوه تتوالى في البروز من النوافذ تشاهد هذه الفريسة الطليقة التي لا تقوى على اصطيِادهم، أبطيء من سرعة السيارة وأنا أتابع البنايات من على جانبِي الطريق وفي كل مرة تبرز وجوه جديدة، يلفت نظري في المرآة الداخلية للسيارة أن الوجِوه البارزة من مداخل البنايات ونوافذها أصبحت كثيرة كما هيَ كثيرة كلما تقدمت في الطريق أمامي.

هربت الدماء من عروقي، دوارٌ خفيف يضرب رأسي وأشعر بأن حلقي شديد الجفاف، أنسحب بالسيارة إلى الطريق السريع، أحاول أن أهدئ من نفسي فلا أفلح، أشغل بعض الأغاني فلا تفلح أن تصرف عن ذهني تلك الصورة الكابوسية.

أخيراً ارتسمت على شفتاي ابتسامة ساخرة مريرة وقد مر برأسي خاطرة أخيرة أيضاً، لقد انتهى عصري وأصبح الآن هناك عصر جديد لكائنات (الزومبي) لتبدأ حياة جنونية على سطح هذا الكوكب السخيف..

السخيف جداً..

(9)

انتهى (مروان) من قصته، وأدار عينيه في الحضور.

قال (محمود علام):

- لقد شاهدتُّ فيلمًا أجنبيَا مشابهًا لأحداث قصتك.

أيّده بعضهم، بعد أن أكَّد (أمجد) على ذلك وبدئوا يتحدَّثوا عن الفيلم.

قطع (مروان) استرسالهم قائلاً بهدوء:

- لم أشاهد هذا الفيلم مع الأسف..

ثم أدار وجهه حتى لاقت عينيه بعين (صفاء) التي ضحكت، ثم قالت:

- لم أشاهد الفيلم حقيقةً، ولكني كنت أتمنى أن أكون مكان البطل لأهزمهم بقوتي الخارقة.

ضجّ المكان بضحكات الجميع المرحة.. تناولت (رحاب) ورقة (مروان) وأبدلتها بإسم (أمجد عبدالمجيد) وتركته يقترع، فُتح باب العربة ببطء، انتصب شعرهم هلعًا وتصلبوا في أماكنهم،

بعد خمس دقائق من الرعب النقي وجدوا على عتبته فتاة تلهث تعباً وارهاقاً، تحمل بيدها حقيبة سفر سوداء ثقيلة.

ابتسم (أمجد)، واستقبلها قائلاً:

- أسماء.. لقد أرعبتينا..

أجابته بخجل:

- لقد أبى الباب أن يُفتح بسهولة.. اعتذر منكم..

خطت أسماء إلى داخل العربة، ثم وقفت محتارة ماذا تفعل! بينما نظر لها الجميع مستفسرين..

تدخل أمجد لإنقاذ الموقف قائلاً:

- انهاِ (أسماء أحمد ونان) صحفية، لقد حجزتُ لها مقعدًا هنا، فهيَ مسافرة إلى الأقصر لإجراء تحقيق صحفي هناك.

أفسحَت لها (رحاب) مكان بجانبها، وسمحَت لها بأن تدثر معهم بالبطانية، شكرتها (أسماء) بشدة، ثم أطرقت خجلة.. شعرت (صفاء) نحوها بالشفقة، فقرّرت إشراكها باللُّعبة..

تحمّست (أسماء) للفكرة كثيراً، ووافقت على الاشتراك، كتبَ (أمجد) ورقة باسمها ثم خلطَها بباقي الأوراق،ثم التقط أول ورقة لامست أنامله.

ما إن فتحها حتى صدر منه ضحكة عالية، وقال بمرح:

- يبدو أنكِ لن تحظي بالقليل من الراحة يا (أسماء)..

نظرت له (أسماء) مستفهمة، فأكمل وهو يشير لها بحركةٍ استعراضية:

- دوركِ ..!

ضحك الجميع، بينما تحوّل حماس (أسماء) إلى خوف..

ابتسم لهاِ (مروان محمد) مشجعًا، حاولت أن تتمالك نفسها قليلاً فأغمَضت عينيها، ثم بدأت تحكي بصوتِ مرتعش يزدادُ ثباتًا مع الوقت.

(10)

الملك

رجُلٌ عادي كأيّ رجُل..

حتى أنه لا يملُك قوى خارقة، ولكن هل هو بصفاتٍ مميزة حتى يحدث له ما سنرى؟

صوت صمت قاتل، يوم روتيني مُمل كبقية أيامه، يصحوا من نومه كعادته يحاول أن يرتدى نظارته، يبحث عنها مغمض العينين يرتديها ويخلع بيجامة النوم، يتثاءب في كسل ويقوم بوضع ملابس العمل على جسده كأنه يضع خرقة بالية، غير مبالي بمظهره الخارجي.

يذهب ليركب المترو، فلا يجد مكاناً أو حتى أن وجد هناك مكان يأخذه غيره، لم يُقاوم، طوال حياته مُسالماً جداً، هادئ الطِباع، تستطيعُ أن تأخُذ منه ما تُريد دون أدنى مقاومه.

جلسَت بمجاورته فتاة خمرية اللون شعرها أحمر متوهج كشعاعِ الشمس في ليلة حارة، مالت برأسها عليه ثم قالت:

- كيف حالك اليوم؟

نظر لها في ذُهول، قائلاً:

- هل أعرفُكِ؟

ضحكتها ملئت أرجاء المكان، نظر لها في دهشة

- ألا تخجلين؟ ما هذه الضحكة.

- ومما أخجل؟

يلقى لها كلمة ثم لا يُعيرها انتباهاً:

- أنتي مجنونة!

تُمسك بيده وتجرى مسرعة..

- إلى أين تأخذينني؟

- ألم تعرف بعد؟

- ماذا تقصدين؟ ما الذي أعرفه؟

تُلقي به فلا يقع على الأرض بل في مكانٍ آخر.

- ما هذا المكان؟ أين أنا؟

ظلام حالك لا يكاد حتى يَرى يديه ولكن شعاع ضوء غريب في هذه الظَلمة رغم أنه يجعلك ترى ما أمامك إلا أنه يبعث في النفس رُعباً غريباً، بدء قلبه يخِفق بشده، يتنفس بصعوبة، هرب منه الكلام انه أجبن من أن يرَد على مجرد كلامٍ عابر من أي من

كان، فما الذي ألقى به في غيابة الجب هنا؟ وأي سيئة اقترفها حتى يحدث معه هذا؟

- أرجوكِ.. سيدتي أعيديني، هل أنا ميت؟ هل هذه الآخرة؟

تظهر الفتاة أمامه بجناحين تطير من حوله، تلتف يميناً ويساراً، تُحدق فيه.

- أنت حقاً لا تعرف ما يجري؟

تهمس في أذنيه قائلة:

- أنَسيت؟

ما زال ملقي على الأرض يرتجف، قال لها:

- أنتِ انس أم من الجان؟

- لا يهُم.. ستتذكر كل شيء في أوانه.

ثم تنفُخ في وجهه وتختفي، يجد نفسه ملقي علي أرضية المترو، والناس مُلتفة من حوله يضربون كفاً علي كف، رجُلٌ يمُد إليه يده ليساعده على النُهوض ويغمز له بعين كأنه يراها عين الفتاة، يُهيأ له لوهلة أنها تتلبس هذا الرجُل، لا يعرف ما يحدث، ينظر له بغرابة شديدة وكأنه يعرفه، ثم ما لبث أن يترك يده ويهرول مسرعاً عَلى الدرّج هرباً مما رآه، ثم وصل إلى عمله، فقال له المدير:

- (حسام).. هل أنجزت المهام؟

قبل أن ينطق حتى، أكمل المدير قائلاً:

- مخصومٌ منك يومين..

فيجلس دون أن يُدافع عن نفسه، يُحدث نفسه "سحقاً لهذا العمل".. يتمتم بكلمات غير مفهومة ألا يكفي يومه ما رآه؟

يفتح شاشة الكمبيوتر أمامه ويبدأ في العمل، يدخل عليه زميله قائلاً:

- حسام.. لم أنجز التقارير التي طلبت مني إيّاها، أعتقد أنكَ لا تُمانع في أن آخذ تقاريرك، فيمد يده ويأخذ الأوراق الموضوعة على المكتب ويذهب.. كل ذلك ولم يعترض حتى.. صوت ضجّة تأتي من أخر الرواق، ماذا يحدث؟ يجري الكل لينظر ما الذي حدَث، تتعالى صرخات النساء في العمل، لقد قُتل (ممدوح كامل).

وجدوه في مكتبه وقد أُقتلعت أحشاءه وتم حشوّها في فمه.. مَن هذا المجرم الذي يفعل هذه الفعلة الشنعاء؟

لم يتحرك حسام، وظل مُسمراً في مكانه، انه يكره رائحة الدماء وإذا رآها يُغشى عليه، لا يُصدق هذا اليوم الغريب، يبدأ بتلك الفتاة التي لا يعرف من أي عالم هبطت عليه، ثم ها هو الآن مَقتلُ زميلٌ له في العمل.

وقف فجأة والتصق بجدار الحائط خلفه وكأنه يقول للجدار انشق وابلعني الآن أو اخفيني من هنا، فقد وجدها ثانية..

- ما رأيك؟ أرحتُكَ منه هذا القذر ذو الرائحة النتنة، كان دائماً يُضايقك.

- هل أنتِ من فعلتي ذلك؟ لماذا؟ من أنتِ ألن تُخبريني؟

أخذَت تتلاعب في خصلات شعرها واقتربت منه وهيَ تحاول أن تلمسه، ولكنه يزحف بعيداً لا يُصدق ما يحدث، فاقتربت منه وهمست في أذنيه، قائلة:

- أتُريد أن تعرف من أنا؟ اتبعني..

واختفت!

لململَ أوراق العمل المتناثرة حول مكتبه وألقى بها في درج خلفي تحرك وسط الضجيج الصادر من زملائه نحيباً على رفيقهم في العمل، أصوات الإسعافات تملئ المكان، صوت أقدام جنود الشرطة كاد أن يثقب أذنيه، ضابط من آخر الرواق يقول بغضب:

- لا أحد يتحرك، الكلُّ سيدلي بأقواله، سوف ترفع البصمات من الجميع.

هناك باب خلفي لم يشعر حسام بنفسه إلا وهو تقوده قدماه منه.. ذهب إلى منزله، أخذ يتنفس بصعوبة، لم يبالي ببرودة الجو،

ألقى بملابسه وارتمى في أحضان سريره وعيناه تحلقان في كل مكان على غير هدى.

صوتٌ بجواره!

- هل افتقدتني؟

- أنتِ مرة أخرى؟ ماذا تريدين مني؟ اترُكيني..

- ولكنكَ مَن طلب مني هذا.

- مَن تقصدين؟ أنا..؟

- صدقني عزيزي.. هيَ مسألة وقت وسوف تتذكر كل شيء، نعمل على هذا..

- تعملون؟! ومن أنتم؟

صوت من آخر الحجرة!

- هيَ تقصدنا نحن..

فتاة أخرى ما لبث أن ظهرت حتى ضجّ المكان بالعديد منهن، كل واحدة منهن تقول أنها خادمته، أشكالهن غريبه رغم الجمال الملفت لهن، إلا أن هول الموقف صدَّ عقله عن أي تفكير آخر، صمت حلِ المكان، وقفن وقد طأطأت الفتيات رؤوسهن وانحنيا كأنهن يعبَدن ما وقف أمامهن..

صوت شديد هزَّ الأركان أتى من آخر الغرفة!

- صمتاً أيُها الفتيات، في حضرة الأميرة (سبنسر).

- ألا تتذكر حسام، حاول؟

ردَّ وقد بحّ صوته وأصبح كأن على رأسه الطير، ويبكي كطفلٍ صغير:

- أقسم أنني لا أتذكر شيئاً.

فنفخت هيَ الأخرى في وجهه وكأنه أخذ مرة أخرى إلى ذلك العالم الغريب ووجد نفسه قبل شهر من الآن، أمام رجُل يجلس بجوار المترو متسول عجوز، هو ذاك الرجُل الذي مد يده ليلتقطه عندما وقع، وجد نفسه واقفٌ أمامه وكأنه يشاهد فيلماً.

- أنت مُتعباً يا بني؟

- نعم.. خُذ هذه النقود وادعُ لي.

- الراحة في الطريق.

وابتسم الرجل وهو يخرج يده من تحت عباءته ويغرسها في يد حسام عندما مُدَّت له، لم تكن يد بشرية، بها مخلب أحدب طويل لونه أسود وبه أهداب منتشرة حوله.

وهو ينظر لنفسه وهيَ بهذه المادة حاوِل أن ينبهها دون جدوى، فقد أظلم المكان مرة أخرى، وقف الرجِل الفقير ليصل طوله إلى عنان السماء، صوت ضحكاته كأن الأرض تهتز من حوله، حتى أن هناك بعض الطير كانت في السماء وقتها فهربت في الجهة الأخرى مخالفة طريق هجرتها.

- كنا ننتظر بفارغ الصبر، أن تنادينا..

انكمش جسده ليصبح في طول حسام، وهمس له قائلاً:

- أنت مميزاً.. والآن جاء الوقت لتعرف قُدراتك، ألم تتذكر أي أمنية غريبة تمنيتها في حياتك السابقة؟

- أي أمنية! لا أتذكر شيئاً..

قالها وعيناه تغرقان في الدموع، فقال الرجِل:

- لقد تمنيت أن تلتحق بكُتَّابِ الرعب، وأن تكون كاتباً عظيماً مثلهم.

- وهل هذه أمنية تستحق كل ما يحدث لي.

- نعم ..لقد دخلت بقدمك في فوهة الجحيم، بعد أن تم حقنك بهذه المادة التي أظهرتكَ على حقيقتك.. تدرى يا حسام ستصبح أقوى كاتب فيهم، أتعلم لماذا ؟ دعنا نستكمل جولتنا ونرى ماذا فعلت بك؟

ويتحول المكان إلى مسارح جرائم مختلفة، يرى نفسه وقد قام بقتل كلّ مَن وقف أمامه من جيرانه وزملاء العمل وحتى أصدقاء الطفولة التي كانت بائسة، كان يتلذّذ بدمائهم.

لقد كان يقتل كل يوم قُرابة الخمس ضحايا، كل ضحية منهم كانت تُقتل بأبشع أساليب القتل، حتى أن ممدوح كامل كان أهونهم.

خرَت قواه من هول ما رآه، جلس على ركن وهو لم يُصدق ما فعله وكيف أن بداخل نفسه البريئة كلّ هذا الغل والسواد.. ينحني الرجِل للأميرة سبنسر التي ظهرت لترفع رأسَه وتجبره على النظر إليها قائلة:

- حسام.. أنتَ منا الآن.

يظهر شبح من بعيد أقوى وأطول وأعظم من ذاك الرجِل الذي كان يخاطبه، فقد كان الرجِل من أحد جنودهم أما هذا فلا، انه مختلف تماماً ورهيب جداً يعجز حتى الوصف عنه، تُكمل سبنسر:

- أتدري يا حسام لما أنت مميز؟ انظر أمامك..

لقد اختارك مهيطل ملك الجان بنفسه ليلتبس جسدك، لم يفعل أحد ما فعلته، أتدري سوف تتحقق جميع أحلامك، سوف تصبح أعظم كاتب رعب.

فرد ملك الجان جناحاه ويقترب منه، تخرج منه صرخة مميتة يخُر فيها حسام مغشيِ عليه.

صمت يخيم على المكان في منزله، ها هو حسام يصحو من النوم يمسك بنظاراته ويلقي بها عرض الحائط، أصبح مفتول العضلات قوي البنية ووسيماً.

يذهب إلى عمله ويجلس أمام مكتبه وقد أخرج من جيبه عُلبة من السجائر الفاخرة، يدخُل المدير قبل أن يفتح فمه، يلقى بالتقارير في وجهه، ويخرج المدير في ذهول.

انه الآن ليس بشرَ، إن ملك الجان يلتبسه وسوف يجعل منه كاتباً لم يسمع ولا يرى أحد مثله من قبل ما سوف يكتبه، لقد اتخذ شعاراً له ليعرفه به كل قرائه (احذروا أيها الفانون منى.. فحتى معجبيني لن أرحمهم) يبتسم ابتسامة مخيفة، ثم يفتح شاشة الكومبيوتر أمامه فيبعث برسالة بريد إلكتروني إلى الكاتبة (صفاء حسين العجماوي) صاحبة فكرة قطار الرعب ويكتب لها..

- عزيزتي الجميلة.. معكِ الملك.

(11)

انتهت (أسماء) من قصتها، وفتحت عينيها لترى انطباعهم عن القصة.. ابتسم لها الجميع، وأشاد (محمد مسعد) بها وبقصتها.

قالت صفاء بمرح :

- يبدو أنني لم أقبل باشتراك الملك.

ضحك الجميع لدُعابة صفاء، التي أشارت لرحاب لتعطيها الأوراق، واختارت ورقة عشوائيًا دون أن تنظر إلى الأوراق.. فتحت الورقة ببطء متعمد، ثم قالت:

- يبدو أنني سعيدة الحظ.. (عمرو مرزوق) هذا يعني قصة ممتعة جدًا، هيّا يا (عمرو).

عدل (عمرو) منظاره الطبي بيده اليمني، ثم قال مبتسمًا كعادته:

- أتمنى أن تروقك قصتي.

ثم نفخ في كفيه ليَدفئهما، ثم بدأ يحكي.

(12)

شاليه (166)

هل حدثت لك من قبل مثل تلك الأشياء؟ عندما تدخل إلى مكان لأول مرة وتقسم داخل نفسك أنك رأيته من قبل في وقت ما أو عندما ترى شخصاً لم تُصادفه من قبل وتشعُر أنك تعرفه وتحدثت إليه في زمان ومكان ما؟ أو يحدث لك حِلماً وتراه واقعاً في الأيام التالية؟

هذا ما يحدث لي أحياناً ولكن ليس بصورة مستمرة حتى لا أصاب بالجنون، ولكن ما حدث لي هذه المرة قد يدفعني إليه لأنضم كبعض أفراد العائلة والذي قيل لي أن أحدهم قد أُصيب به من قبل.

المهم ما حدث لي كان غريباً فعند رجوعي المعتاد إلى الإسكندرية قررت أن أقضي عده أيام داخل إحدى الشاليهات المنعزلة عن الناس، والتي تطُل على البحر وتقع قريباً من عُشش الصيادين، ثم أتوجه بعد ذلك إلى زيارة أحد أفراد العائلة هنا في الإسكندرية، وبمجرد دخولي إلى الشاليه انقبض قلبي دون سبب واضح وشعرت وكأن هناك روحٌ في الجوار بل شعرت بأنفاس لتلك الروح تلفح وجهي أكثر من مرة.

كنت دائماً أشعر بالأرواح الهائمة، تلك الأرواح التي ماتت في ظروف غامضة، والتي لم تهدأ أرواحها بعد.. ولا أدري لماذا

أوقعني حظي في هذا الشاليه بالذات؟

كانت هناك أشياء بسيطة هيَ التي أكدَّت لي ذلك، فعند خروجي من الشاليه ليلاً، وبمجرد نزولي درجات السِلم، أنظر خلفي لأجد الأنوار تضاء من تلقاء نفسها أو أجد مياه تتساقط من إحدى الأحواض على الرغم من غلقه أكثر من مرة طوال الليل، وفي أحد المرات عند رجوعي أقسم أني رأيت شخصاً مُستلقياً على أحد الآسرة في الغرفة المقابلة لغرفتي، وعندما أضئت النور لم أجده وكنت دائماً أسمع همسات ليلاً بتوسُلات مع صوت بكاء مستمر.

كان من الممكن الاعتياد على تلك الأحداث البسيطة إلا ذلك الكابوس الذي رأيته أمس وبسببه حزمتُ حقائبي داخل السيارة مصمماً على العودة إلى القاهرة، ولكن قبل أن أتوجه إليها توجهت إلى المكان المخصص للصيد في أحد الأنحاء النائية على شاطئ البحر، وتلك الأنحاء التي أعرفها جيداً، كنت أعلم تلك الطُرقات، وأعرف أشخاصها وأحيانًا مراكبها، قادتني قدماي إليها وأنا لازلت مستغرقاً في تفكيرٍ عميق من كابوس الأمس، والذي جعلني أشعر بحيرة شديدة.

ساقتني قدماي للجلوس بالقرب من أحد الصيادين، والذي كان مستلقياً على شاطئ البحر محتمياً ببطانية قام بفردها على خشبة عالية لتحميه من أشعة الشمس تاركاً صنارته منتصبة غارزاً طرفها في الرمال، وحبلها المؤدي بعيداً إلى داخل البحر.

جلست بهدوء على الرمال متذكراً أحداث ذلك الحلم الغريب الذي راودني، فلقد رأيت الشخص الذي لمحته داخل الشاليه.

رأيته أمامي وتجسد الحلم الذي تحوّل إلى فيلم سينمائي تماماً، وبدأت أحداث فيلمي هذا بدخول الرجِل الغريب إلى الشاليه الذي كنت مقيم فيه، ولكن تلونت الجدران بلون مختلف وتغير الأثاث إلى طراز عتيق حتى الأشجار الكبيرة التي تقع أمام النافذة رأيتها قد تضاءلت كثيراً ليظهر مشهد البحر بوضوحٍ من خلفها.. أرى الرجِل وقد خرج من الشاليه هابطٌ درجات السُلم، وأنا وراءه دون أن يشعُر بوجودي، يسير الرجِل فأسَير وراءه يتوقف أتوقف، يجلس وهكذا حتى تصل قدماه إلى مكاني هذا ليجلس تماماً بنفس جلستي مراقباً أحد الصيادين هو الآخر والذي نظر إليه مندهشاً من مراقبته له، و بدأ في محادثته.

- حمداً لله على سلامتك سيدي، من أين أتيت؟

- سلمك الله.. أنا من القاهرة.

- كل عام وأنت بخير، لقد رحل الناس جميعاً ويبدوا أنك أتيت متأخراً، أتعلم هذا الشاطئ لم يكن يخلو أبداً من المصطفين طوال الخمس شهور الماضية، والآن إذا أمتدُ نظرَك إلى مالا نهاية فلن تجد إلا بضع من الصيادين فقط.

- نعم هذا صحيح لقد تأخرت كثيراً في الحصول على العطلة السنوية لي، إن ذلك أصعب ما يكون لدينا في المشفى الذي أعمل به، فأنا طبيب أسنان بالإضافة إلى طبيب آخر، ولذلك من

الصعب دوماً الحصول على عُطلة طويلة، وعندما حصلت عليها ها أنا ذا متأخر عن الكافة..

(يضحك الطرفان وأنا جالس مستمعاً بينهم دون بالطبع أن يَروني، ويقوم العجوز ليدخل عشته الصغيرة القائمة إلى جوارنا ليعود بكرسي خشبي يُقدمه للطبيب)

- تفضل يا دكتور لا تجلس على الرمال وإلا اتسخت ملابسك.

- شكرا يا عم.. ما اسمك أيها الرجُل الطيب؟

- اسمى (صالح)..

- شكراً يا عم صالح.. والآن أخبرني هل تصطاد جيداً على الشاطئ؟ أعتقد أن الصيد يكون بوفرة في داخل البحر.

- يا سيدي.. أنا صياد والدي كان صياداً أيضاً وكلّ أسرتنا توارثت تلك المهنة، ولديّ قارب صغير ولكني لا أبحر به كثيراً إلى داخل البحر إلا مرة كل شهر تقريباً، ولكن أتعلم يا سيدي.. أوقاتٌ كثيرة جدًا يكون الصيد على الشاطئ أثمن بكثير من الصيد داخله، كل ما عليك هنا أن تضع هذا الطعم في نهاية تلك الصنارة، وتلقي بها إلى البحر ولا تعلم ما الذي ستصطاده، كل ما عليك هو الصبر.. والصبر فقط، أما هنا على الشاطئ فأنت تضع الطعم، وتلقي الصنارة بالقرب منك وتصبر، ولكن أنت متأكد من نوعية الصيد الذي ستسوقه الأقدار لك، المهم فقط أن تصبر.

- حديثُك ممتع أيها العجوز..

- وأنت يا سيدي هنا وحدك أم مع أفراد أسرتك؟

- لقد أتيت بمفردي أيها الرجِل الطيب، وانتهزت تلك الفرصة بمجرد دخول الأولاد إلى المدرسة، وزوجتي دائمة الشجار، أما العمل، وآهٌ من العمل الذي ليس هناك أي راحة منه في ذلك المشفى اللَّعين، وفى أول فرصة أخذّت ثلاثة أيام فقط لإراحة أعصابي المتوترة، وهناك أحد الأصدقاء يملك شاليه هنا، فأخذّت منه المفتاح، وها أنا في أول أيام عطلتي يا عم صالح، وأصدقك القول المكان في منتهى الروعة والهدوء كل ما يقلقني هو إمكانية شراء عدة متطلبات لأني كنت أظن أن هناك أي محلات بقاله هنا، لكن يبدو أن الكلّ أغلق.

- نعم يا دكتور فأغلب تلك المحلات تفتح فقط في الإجازة الصيفية، وبحلول الشتاء لا تجِد إلا أحدهم فقط، أترى هذا المسجد البعيد بجواره محل قد تستطيع شراء ما تحتاجه منه الأيام القادمة، أخبرني أين تقيم يا سيدي؟

الشاليه أمام مدخل البحر أتعلم تلك العمارة الكبيرة الحمراء بجوار المدخل هناك بجوارها عدة شاليهات زرقاء اللون، أنا مقيم في شاليه (166)..

- عظيمٌ جداً، اسمعني جيداً أنت اليوم ضيفي سأطهو لك سمك طازج لم تتذوقه من قبل بحياتك.

- لا لا.. شكراً جزيلاً يا عم صالح، سأترَكك الآن، وألحق بهذا المحل قبل أن يُغلق.

- كيف تقول ذلك؟ إننا أهل كرم هنا، وذلك عيبٌ كبير إذا تركتك ترحل، اجلس فقط وتناول كوب من الشاي الدافئ.

(يدخل العجوز إلى عُشته مرة أخرى ليَعد الشاي تاركاً الطبيب ممسكاً بعصا خشبية، ويخط بها بأحرف على الرمال، وعدة أرقام نظرت إليه دون وعى لأجده يكتب (166) على الرمال.. يسعَل العجوز، وهو خارج حاملاً صينية صدِئة رُصت عليها ثلاثة أكواب..

مدَّ الطبيب يده ليأخُذ الكوب من اليد الممدودة إلية قائلاً بدهشة:

- ولمن هذا الكوب الثالث يا عم صالح؟

- هذا لولدي الذي قُمت بالنداء عليه ليذهب سريعاً ليبتاع لك ما تريد من أشياء بسيطة.

-لا لا.. ليس الكرم إلى هذه الدرجة، أعذرني لأن فعلاً وقتي ضيق، سأتناول فقط هذا الكوب الدافئ، وأما سمكك الطازج فلتحتفظ لي به المرة القادمة.

(كنت على وشك الرعب لو قال العجوز للطبيب أن الكوب الثالث للشخص القادِم معك أو الجالس بجوارك، ولكن الحمدلله

فكنت لهذه اللحظة شبحًا لا يشعر بي أحد مع العلم بأن كل ذلك داخل الحِلم، كنت أتحرك داخل المشهد بأكمله كنت أتقدم منهم وأبتعد وأحياناً أقترب من العُشة التي كنت أشعر أنني رأيتها من قبل كعادتي المجنونة، كنت أتركهم لحديثهم الممل وأخترقهم كأنني هواء، وهنا حدث شيئاً مفزعاً فقد هوى الطبيب من على كرسيه إلى الأرض جِثة هامدة.

***

يتغير ديكور المشهد بالكامل أمامي لأجد نفسي روحٌ تسكُن مركباً في عرض البحر بداخل إحدى المراكب القديمة متوسطة الحجم.. كنت أقف في المقدمة أحاول أن أنظر إلى البحر الذي لم يظهر منه سوى ظلام دامس، كان يوجد خلفي غرفة صغيرة بلا زجاج أمامي، وكانت تحتوي على آلات إدارة المركب وكان السكون هو ما يخيم على اللَّوحة بأكملها فلا يوجد صوت سوا الصوت الخافت لأمواجه، والتي كانت تتكسر على جوانب المركب المتوسطة الطول.

فُزعت عندما سمعت صرخة عالية تأتي من خلفي، التفتَّ سريعاً إلى ما خلف الغرفة لأجد الطبيب مقيداً بحبلٍ غريب اللون من يده إلى قدميه، ويمتدَّ إلى مكان خلف الطبيب في الجهة المجاورة للغرفة الخشبية والتي لم أستطع النظر إليها، كان الطبيب لا يزال على صراخه المستمر، وبجواره شاب يبدو من هيئته أنه مُختل عقلياً لأنه كان يضحك ببلاهةٍ شديدة، وهو يغرز إبرة طويلة في

خَد الطبيب ولا أدري إن كانت هيَ عادتي التي ضجرت منها عندما شعرت أني رأيت هذا المعتوه في زمن ما.

كنت أحاول أن أفيق من الكابوس ولا أدري كيف ولم أستطع وكأنه مقدر لي أن أستمر في الحِلم إلى مالا نهاية.

وعندما كان الطبيب في قمة صراخه الهيستيري كان العجوز في هذا الوقت قد خرج من الغرفة الخشبية، وهو يضحك ملِئ شدقيه:

- اعذرني يا سيدي.. أخبرتك للمرة العاشرة خلال الخمس دقائق الماضية أن تتحمل، انه لا يقوم من مخدعه إلا في هذه الأوقات فقط..

وينظر بشفقةِ إلى الشاب المختل قائلاً بحنوٍ بالغ:

- العب يا ولدى، رفه عن نفسك، اضحك ملِئ شدقيك، هل أنت سعيد الآن؟

(يضحك الأبله من كلام العجوز الذي وجهه إليه، ويفتح فمه ليطلق صريخاً حاداً يكاد يصُم الآذان، وهو يجرى حول الطبيب)

- حرام عليك يا عم صالح ماذا فعلت لك لتُعذبني بهذا الشكل؟

يقولها الطبيب بعيونٍ باكية وفم مليء بالدماء وهو يتوسل إلى العجوز.

- وأنا أيضاً يا ولدى لم أفعل هذا متعمداً، كل ما هنالك أنها تسليته الوحيدة، أتعلم هو الآن في منتهى السعادة لدرجة أنه يِّقيدك بأعز حبل عنده، هذا الحبل يا دكتور كان في مركب صيد فرنساوي، وصاحبه كان في مكانك ومقيد في نفس مقعدك، لا تغضب يا سيدي تلك عادة وأتمنى من الله أن نشفي منها.

- عادة..!! أي عادة تلك التي ستجعلني ألفظ أنفاسي الأخيرة من هول ما أراه، بالله عليك فُك هذا القيد، أخبرني ماذا تريد؟ سأعطيك أضعاف ما تطلبه؟ لن أخبر أحداً بما حدث، فقط أطلقني يا عم صالح، لقد نسيتك بالله عليك، لا تخشاني، لكن ارحمني..

يحاول الطبيب باستماتة فَك قيوده من الحبل الملون دون جدوى، ويطلق صرخة ألم حادة مرة أخرى عندما جلس الأبله على ركبة الطبيب غارزاً مفك حديدي داخل فم الطبيب محاولاً خلع أي سنة، وعندما يغلق الطبيب فمه، وبقوة يغلق الأبله أنف الطبيب حتى يكتم أنفاسه، ويفتح فمه مرة أخرى وهكذا.

يجلس العجوز على أرضية المركب ضاحكاً قائلاً:

- على مهلك يا ولدى، ستقتُل الطبيب، سيموت منك، أعذرني يا دكتور فلقد أخبرته أنك طبيب أسنان، وهو يريد تقليدك فقط..

ويضحك مرة أخرى، يصرخ الطبيب:

- كفي يا صالح..

- ان اسمي ليس صالح من الأساس يا دكتور.

- لا يهم الاسم لكن دعني من فضلك.

- لا أقدر يا سيدي، من داخلي أقسم لك أني أتمنى أن أفك أسرك، وأدعك لشأنك ولكني لا أضمنُك، أنت صيد ثمين، ألم أخبرك صباحاً أن الصيد على البر أوقات يكون أغلى بكثير من الصيد داخله، قبل ما نُحضرك هنا على المركب أرسلت ولدي الآخر إلى الشاليه الذي تُقيم به وأخذنا كلّ ما هناك ولا يوجد أي أثر أساساً بأنك قد حضرت، أو حتى حقيبة ملابسك..

يصرخ الطبيب وهو ينظر إلى الأبله في هلعٍ وهو يأتي من الداخل فرحاً، وبيده كماشة مما تستخدم في خلع المسامير ليجلس على ركبة الطبيب، قائلاً في توسُلٍ طفولي:

- اتح..اتح فمك.

وبالطبع لم يزد ذلك الطبيب إلا إغلاق فمه أكثر وبمنتهى القوة، فيدور الأبله خلف الطبيب في يأسٍ ويُمسك بالكماشة إحدى أطراف أصابعه ويضغط بكل قوة ليصرخ الطبيب من الألم عندما يبتر الأبله إصبعه الصغير ويمسك بالإصبع ليمسح بدمه وجه الطبيب في مشهد مقزز كاد أن يدفعني إلى الغثيان وسط كابوسي هذا.

- اعذرنا يا دكتور.. أخبرتك أن تلك تسليته الوحيدة هو دائماً طريح الفراش، ولا يقوم إلا عندما أحضر له صيد ثمين مثلك

هكذا، يقوم باللهو حتى يتعب ويذهب إلى النوم وهكذا، تحمل قليلاً وسوف ترتاح أقسم لك، أتعلم أنني أكون في منتهى السعادة عندما أجده يلهو ويضحك هكذا، انه في صغره أصيب بـ..

- أستُخبرني بقصة حياة ذاك المعتوه أيها الأبله، ليس لي أي شأن بكما أيها المخبولان، إنني أنزف وسأموت في الساعة القادمة إن لم يقف هذا النزيف.

كنت مشمئزٌ من الموقف بأكمله وخاصةً عندما بدأ الأبله بغرز كماشته اللعينة فعلاً في أحد أسنان الطبيب ليطبق عليها بمجرد أن فتح فمه، كان الوقت يمر والصراخ يزداد، وأنا يكاد أن يغشي على داخل كابوسي هذا لم أقوى على احتمال مشهد التعذيب والدماء والصراخ المتزايد من الطبيب، وصرخات الأبله الهستيرية كلما كسر سنة للطبيب الذي اختلط نحيبه ببكائه وأنا معه، كنت أحاول أن أشغل نفسي عن أي شيء آخر غير هذا المشهد حاولت أن أنظر إلى الحبل الملون الذي يحبه الأبله، كان حبلٌ مصنوعاً من خيوط عجيبة الشكل كنت أشعر من ملمسه أني رأيته من قبل، كنت أنظر إلى امتداد الحبل إلى مكان ما بجوار الجهة المقابلة للغرفة الخشبية، ولكني فزعت عندما رأيت أن نهاية الحبل مقيدة بإحكام إلى كتلة إسمنتية ثقيلة الوزن، وخلفها كان البحر تماماً بلونه الكئيب لأن العجوز قد خلع جدار المركب من هذه الناحية ليسمح بسقوطها، ومن ربط بها.

كانت الأحداث التالية متوقعة، وعبثاً حاولت أن أحل هذا الحبل

من الكتلة دون أي جدوى، فأنا لازلت مجرد هواء داخل الحلم، كم حاولت أن أوقظ نفسي منه، كنت أسمع من خلفي بكاء الطبيب وتوسلاته وبكائه وتذكرت وقتها أنه نفس الصوت ونفس البكاء ونفس التوسِلات التي كنت أسمعها ليلاً في الشاليه.

التفتّ لأرى الأبله جالساً على الأرض، وأمامه عدة أجزاء من أسنان الطبيب الدامية، ويقوم من جلسته فور إطلاق العجوز لصفارة من فمه الكريه، ويقوما معه ليتوجها ناحيتي ويقتربا من الكتلة الإسمنتية، ويجلسانِ بجوارها مستندان بظهرهما إلى الحجرة الخشبية، وأرجِلهما مُعلقتان إلى الكتلة الإسمنتية، يضحك الأبله، ويومئ للعجوز وكأنهما على اتفاق فيما سيفعلان، يضحك الطرفان في سعادة ويومئ كل منهما للآخر، ينظُران إلى الطبيب الذي كانت الدماء لازالت تنزف من فمه على وجهه وقميصه، كان يراهم دون أن يرى الكتلة الأسمنتيةَ ولكنه شعر أن في الأمر مصيبة أكبر، حاولت أن أصرخ دون أي جدوى.. يلصق الطرفان أقدامهما أكثر إلى الكتلة الأسمنتية في نشوة، يدفعان قليلاً، تنزاح الكتلة عدة سنتيمترات تجاه السور الخالي للمركب، يدفعان أكثر فأكثر، يصرخ الطبيب في هلعٍ عندما يرى من مكانه الكتلة وبها آخر طرف من الحبل الملون المقيد به، وقد أدرك أخيراً نيتهم، يدفعان أكثر، يحاول الطبيب في استماتة التخلص من قيوده دون أي جدوى، يصرخ أكثر، وأنا أحاول أن أمسك بتلابيبه، يدفع الطرفان أكثر فأكثر لتقع الكتلة بدوى صاخب في البحر، يصرخ الطبيب، وهيَ تسحبه إلى داخل البحر أحاول أن أفعل أي شيء دون أي جدوى، تتحول صرخات الطبيب إلى فقاعات وفقاعات،

وأنا أنظر إليها من فوق المركبِ، وشعرت في تلك اللحظة على الرغم من النهاية المأساوية للرجِل إلا أنه الآن قد رحمه الله من هذا العذاب البشري في يد هذان المخبولان، فلم يطُل عذابه أكثر من ذلك، فهو الآن لن يشعر بأي ألم أو أذي فماذا سيخسر الآن وقد خسر حياته؟ ماذا يخسر أو يخشى الغرقى في قاع البحر؟ أو الأشلاء والعظام المعجونة بين عجلات المركبات؟ بل ما الذي يخشاه الموتى ولو كانوا على قيد الحياة؟

كان الأبله يضحك في سعادة، وكان وجهه إلى جواري تماماً في هذه اللحظة والذي وضَحت معالمه في ذاكرتي ووضح وجهه، وأكادُ أن أقسِم أنه رآني لأنه مدَّ يده نحوي في بلاهةِ صارخٌ:

***

أفقت من تأمّلاتي قبل أن أتذكر بقية الكابوس على صوّت الصياد الذي جلست إلى جواره، وهو يقفز من مكانه تحت البطانية المنشورة ليسحب صنارته، وقفت أنا الآخر مندهشاً من كيفية علمه وشعوره بالصيد ليجد الصياد في نهايتها سمكة تقارب الخمسة كيلو جرامات قائلاً في سعادة:

- إن فالك حسِنٌ يا (مروان) بيك، لم أصطاد تلك السمكة منذ عدة شهور.

ابتسمت و شكرته لأتمشى قليلاً وسط عُشش وطرقات الصيادين لأقترب من عُشه صغيرة تقع على أخر الزقاق، فتحتها في هدوء لأجد عمي مستغرقاً في النوم العميق كعادته.

كان العجوز في مخدعه، فاقتربت منه، وربتت على يده في صمت، كنت أزوره كلما سنحت لي ظروفي أن آتى إلى الإسكندرية، وزادت هذه الزيارات بعد وفاة أبي الذي قد أوصاني عليه بعد أن أصابه مرض في العظام، وأصبح لا يقدر على القيام بأي عمل، كان دائماً يوصيني بحسن معاملته على الرغم من ترك أبي الإسكندرية ونزوحه إلى القاهرة منذ أكثر من أربعين عاماً، ونتيجة لهذه الوصية كنت أزوره في مرات عديدة لأترك له ما قد يسد به رمقه ومساعدته في ظروف الحياة.

انتظرت في هدوء إلى أن يفيق من نومه، أوقدت الشعلة لأعد لنفسي كوباً من الشاي، وجلست وانتظرت طويلاً متذكراَ ما كان الأبله سيقوله لي في الكابوس، أو أين رأيت هذا الأبله من قبل، دون أي جدوى، أفقت من تأمّلاتي عندما وجدت بجوار سرير عمي كتلة من الحبال التي تستخدم في ربط قلاع المراكب، ولكن ما لفت نظري هو وجود قطعة حبل صغيرة لا تزيد عن متران ولكنها كان نسخة طبق الأصل من الحبل الملوّن الذي قيد به الطبيب، قُمت إلى الحبل واندهشت من الشعور بالراحة الغريب جداً الذي انتابني وأنا أصنع مشنقة صغيرة من ذلك الحبل، وأضعها بهدوء شديد حول رقبة عمى الذي عرفت أين رأيته قبل ذلك.

(13)

صفَّقت (صفاء) بيديها جزلاً بعد أن أنهى (عمرو) قصته، وقالت بسعادة:

- لطالما أعجبت بقصصك..

عدل عمرو نظارته، ومنحها ابتسامة هادئة وواثقة، وبطريقة مسرحية قائلاً:

- بخدمتك يا سيدتي..

ضحك الجميع بقلوبٍ صافية، قطع ضحكاتهم رنين هاتف هيثم..

بعد ربع ساعة كانت صفاء تتوسط الكاتبتين (منال عبدالحميد) و(مروة المأذون) بعد أن لحقوا بالجميع في محطة سوهاج، لمحت (منال) الأوراق، فسألت عنها، أجابها (هيثم) بشرحٍ مبسط للُّعبة، أعجبت بها (منال) و(مروة)، وطالبا بالاشتراك.

سَحب (عمرو) ورقة، ثم قرأ الاسم المكتوبَ عليها، تأمّل الوجوه المترقبة لبرهة، ثم قال:

- (صفاء حسين العجماوي)..

صرخَ الجميع فرحاً، غمز (محمد مسعد) إلى (إبراهيم وهبي) وهمس له:

- حانَ وقت الانتقام..

ولكنِ لسوء حظه سمعته (صفاء)، فنظرت له بعينين مشتعلتين غضباَ، انكمش (محمد مسعد) رعباَ، بينما حرّك (إبراهيم وهبي) ذراعيه أمام وجهه خوفًا، وهو يقول :

- أنا لم أقُل شيئًا..

ضحك (إسلام وهيب) وربت على كتفيهما قائلاً:

- لا ترتعبا هكذا.. جميعنا في انتظار قصة (صفاء) فهيَ صاحبة الفكرة..

ثم التفت إلى (صفاء) وقال لها:

- يكفي لقد قتلتي الشابين رعبَا، وهذا خارج إطار المسابقة.. هيّا أحكي..

ابتسم الجميع مُرتقبين لردة فعل (صفاء) التي زفرت بقوة، ثم بدأت تحكي.

(14)

مرسم

وقفَ (يوسف) يتأمّل تلك البيضة الصغيرة التي ابتاعها تواً من ذاك الطفل الصغير مُغبر الثياب، والذي اعتاد على إيتاءه بكلِّ غريب صغير ليستخدمه في معرضه القادم، تأمّلها يوسف بنظرة كلها إعجاب، وقال لنفسه بسعادة:

- سأجعل منها درة المعرض كله..

وضع يوسف البيضة في مكانها الخاص تحت العدسة على طاولة العمل، ثم وقف يتأمّل يوسف مرسمه المليء بكلّ الغرائب التي أبدعتها أنامله ليعرضها على جمهوره بعد يومين، وقعت عينيه على كومة الجرائد التي توسطها عنوان بارز أسود اللون "أول معرض منمنمات في مصر" أمسك يوسف بجريدة الفن والتي كَتبت في مقالها الرئيسي:

"أول معرض للمنمنمات في مصر"

"الفنان العالمي يوسف محمد العائد من روسيا يُعد معرضه الأول للمنمنمات المصرية في الأقصر"

بعد عودته من موسكو بعد نجاحه الباهر في معرضه "روسيا في عيون زائريها" أعلن الفنان العالمي يوسف محمد أنه سيفتتح

معرضه الأول للمنمنمات تحت عنوان "مصر عبر العصور" في عاصمة مصر القديمة "طيبة" المعروفة حالياً بمدينة الأقصر، وفي أحد أشهَر معابدها "معبد حتشبسوت" الأسبوع المقبل، وقد نال يوسف شهرته منذ خمسة أعوام عندما رسم عجائب الدنيا السبع على أصغر حبة أرز في العالم، والتي تنافس على شرِاءها الملوك و الأمراء ومتاحف الفن إلا أنه رفضَ بيعها حتى لا يَحرِم الجمهور من رؤيتها، فهيَ دائماً تتوسط معروضاته في كل معارضه.

الجدير بالذكر أن المنمنمات أو الرسم التصغيري ترجع أصوله إلى فترة العباسيين والتيموريين والصفويين، عندما كانت كتب الشعر والتاريخ تزيّن بالرسوم، كما تجلَّت في كُبريات مدارس المخطوطات ببلاد فارس والهند وتركيا، وما خلفته من آثار، والمؤكد أن الفن التصغيري الإسلامي استقى مصادره وعرف أيام مجده وتطويره في بلاد فارس في الآثار النفيسة التي خلفها مصورون منهم (بهزاد وأغامير والسلطان محمد ورضا عباس).

ولذلك عرف فن النمنمات على أنه صورة تشكيلية تصغيرية، أي مصغرة النسب والأحجام والأشكال لما يتناسب مع حجم صفحة الكتاب الموجودة فيه، وهيَ أيضاً: عبارة عن صور إيضاحية لمضمون المخطوطة أو الكتاب مهمتها تمثيل الفكرة بشكل مصغر وبالألوان، إلا أنه الآن يشمل الرسم المصغر على عدة أشياء منها حبات الأرز، وقشر البيض و غيره.

تطرق المقال لحياة يوسف الشخصية، وأسهم في الحديث عن دراسته ومسيرته الإبداعية.

نحّى يوسف المجلة، وجلس على طاولة عمله يتأمّل هذه البيضة الصغيرة، كانت البيضة كريمية اللَّون، أصغر وأخف من بيضة الحمام، عندما يمسكها يشعر بنبض دافئ بين أصابعه، أدار يوسف البيضة بين يديه وتحت العدسة، حتى يعثر على أضعف مكان بقشرتها، ليتمكن من تفريغها من محتوياتها، عثر على نقطة سوداء صغيره بها ثقب صغير يسمح بمرور الإبرة، وضع يوسف الصحن الذي سيضع فيه محتويات البيضة على يمينه، ثم أدخل الإبرة في الثقب، وأخذَ يُفرغها من محتوياتها، ويا للعجب كانت محتويات البيضة أضعاف ما يحتمله حجمها، غير أن انهماك يوسف لم يكن يشعره بذلك، ولربما لتبخر محتويات الصحن كلما أدار يوسف وجهه عنه، كان البخار الذهبي المتصاعد من الصحن ينتشِر في شكل لولبي تجاه معروضات يوسف، والتي ما إن يلمسها البخار الذهبي حتى تهتز ممتصة البخار.. تسلل العرق من مسام يوسف على استحياء بادئ الأمر، ثم تحول إلى خيوط رفيعة تجري تجاه الأرض، ظن يوسف أن عرقه نتيجة انهماكه بالعمل، والجهد الذي يَبذله للحفاظ على البيضة، ولم ينتبه للبخار الذهبي الذي يحيط به متحولاً للون الناري.

انتهى يوسف من إفراغ البيضة، فترك أدواته، ونظر لها مفتوناً، لقد اتخذ قراره سيجعل منها أجمل لوحاته سيرسم عليها معابد مصر القديمة، مسح عرقه بكُم معطفه الأبيض الذي يرتديه كلما

شرع في الرسم، ثم ذهب إلى حاسوبه ليخرج صور المعابد التي سيرسمها على البيضة.

انسحب البخار الناري من حوله ليتشكل في جنية حمراء الشعر، بشرتها كزلال البيض تشف ما تحتها من لهيب الغضب، ترتدي فستاناً أصفر بلَون صفار البيض، أذناها رفيعتين وصغيرتين، لها شفتين بلون فستانها مذمومتين غضباً، أما أنفها الصغير ذو الفتحة الواحدة يخرج بخار حار كبخار غازات البراكين، نظرت الجنية إلى كفيها فوجدت لهيب غضبها ينسحب تاركاً دخان أسود دليل على اقتراب أجلها، فلقد أخرجها يوسف من مَهدها قبل أوانها ليقتُلها دون أن يدري، ولكنها لن تموت دون أن تنتقم منه.. والآن قبل أن تنتهي حياتها، فجأة فتحت نافذة المرسم بعنف ليندفع تيار هواء ساخن يكسر الحوامل التي ترفع منمنمات يوسف، ليتهشم البيض، وتتشقَق الأخشاب، ويتحول الزجاج إلى تراب، أما الأرز فقد أخذ يطير في تجاه عيني يوسف، حاول يوسف أن يحمي عينيه من الأرز المندفع، وفي ذات الوقت يحمي البيضة، غير أن الأرز اخترق جِلده فوق حاجبيه، انخفض يوسف تحت منضدته وهو لا يصدق الدمار الذي لحق بمنمنماته، ليفاجئ بغلق النافذة، وإسدال ستائرها عليها، وتغيرت إضاءة المرسم للَّون الناري، أخذ يوسف يرتجف كورقة شجر تعبث بها عواصف الشتاء، اندفع شعر الجنية الأحمر ليلتف حول عنق يوسف، ويسحبه تجاهها، قاوم يوسف الشعر لبرهة ليجد نفسه قد تحرر.. اعتدل يوسف واقفاً ليجد أنفاس الجنية تحرق وجهه، ارتد يوسف مذعوراً، فتعثر بقدم الطاولة، وقبل أن

يسقط أرضاً اندفع شعر الجنية المجدول على هيئة حبل هذه المرة ليتلف بقوة حول عنق يوسف الذي بدأ وجهه في التحول إلى اللَّون الأزرق، كانت الجنية تُتابع مسار الدخان الأسود الذي اقترب من عنقها بسرعة، ولشعورها بدنو أجلها أحكمت لف جدائلها حول رقبته، رمى يوسف البيضة من يده، وحاول فَك الحبل المطوّق حول عنقه، ما إن لامست البيضة الأرض حتى تهشمت، وسقطتِ الجنية صريعة تحت قدميه، ثم بدأت تتحول إلى بخار ذهبي، فيَسقط يوسف مغشي عليه.

في صبيحة اليوم التالي أقبل خادم يوسف ليقوم بإيقاظه كما أعتاد، صعقه ما وجد من تدمير في المرسم، وضياع مجهود يوسف لشهور طويلة، كان يخطو على حطام القشور الملونة، والزجاج المنقوش، والأوراق الممزقة، والأخشاب المفتتة، متجهاً حيث يوسف المتدثر بستائرِ نافذته، يهتز كِبندول الساعة، ما إن اقترب منه حتى وجده قد جُن تماماً، لقد سُكبت على رأسه كمية كبيرة من اللَّون الأصفر، ويحرك يديه كجناَحين في جميع الاتجاهات، وهو يهذي بكلامٍ غير مفهوم، لم يلتقط خادمه منه سوى "جنية".

(15)

صفَّق (إسلام وهيب) بحماس، بينما أطلق (محمد مسعد) صفيراَ طويلاً مستحسنًا به قصة (صفاء) أعقبه ضحكة مرحة، بادله الجميع إيّاها.

هتف (هيثم) بحماس:

- لا يوجد أجمل من ذلك..

قالت (منال) بحب :

- قصة جميلة مميزة مزجتا الفانتازيا بالرعب بأسلوبٍ سلس، أحببتها..

ابتسمت لهِا (صفاء) شاكرة، بينما أيّدها الجميع، نحّت صفاء ورقتها جانبِا، وقدمت الأوراق لـ(عمرو مرزوق)، الذي سحب أول ورقة قابلته.. فتح الورقة بهدوء، ثم قال:

- (مروة المأذون)..

ابتسمت (مروة) وأخَذت نفسًا عميقًا، ثم قالت:

- بما أننا نركب القطار، سأقُص عليكم قصة شباب يركبون القطار مثلنا..

ثم بدأت تحكي..

(16)

عفريتة القصر

تظنوني الأكثر مُزاحاً من بينكم وأنني أَسَخِّف من كل ما تحكون عنه من قصص مخيفة، ولكنني أخفي وراء ضحكي وسخريتي ما لو سمعتموه لتعجبتم ولظننتم أن ما رأيتموه أو حتى سمعتم عنه هو مجرد أفلام كارتون، مقارنة بما رأيته أنا بأم عيني، ما تحكونه عن أحاسيس تَقشعِر لها جلودكم لا تساوي شعرة فيما حدث معي وبنفسي لا سمعتها و لا رأيتها محض دقائق بل عشتها لساعات.

نظر إليه أحدهم بتعجب واضح قائلاً:

- أنتَ يا (سمير) أنت؟ أنت لا تدخر وسعاً لتستهزئ بنا وبقصصنا فكيف لنا أن نُصدقك؟

سكَت سمير مُطولاً والكلّ يحملق فيه منتظرين إجابته على سؤال (هاشم) ثم تنهد تنهيدة طويلة وقد اغرورقت عيناه، ثم قال:

- صدقٌ إني أهرب مما قد حدث لي منذ سنوات، أخاف حتى أن أحكى عنه بيني وبين نفسي، أفعل المستحيل لمسحه من ذاكرتي، ومع ذلك يعود إلى، كل حين أشعر فيها بتوقف قلبي عن النبض ولا أجد ريقاً لأبتلعه، وأشعر بأنني في منتصف شهر فبراير فوق

جبل افريست ولا ارتدي سوى جلباب خفيف والثلج ينهال عليّ من السماء ولكن ربما...

ثم سكت قليلاً واستكمل:

- أجل ربما إن حكيت تأتيني لمرة أخيرة تودعني لآخر مرة.

قالها مطولة وكأنه يتمنى وبشدة النهاية لأمر جثم علي صدره ولا ينزاح أبداً، ثم استطرد قائلاً:

- ربما تُريدني أن أحكِي عنها، أن أفكر فيها، أو ربما أن أشعر بها، ربما يكون في ذلك عَزاء لها وترويح عن وحدتها.

تسمّر الجميع في أماكنهم يتملكهم فضول كبير لمعرفة قصته، تلك التي هزته بهذا الشكل وهو المازح المستهزئ الغير مبالي طوال الوقت، يتساءل كل منهم بينه وبين نفسه، كيف يمكن لمثل شخص بمواصفات سمير الضاحك طوال الوقت أن تكون بداخله قصة متأججة هكذا؟

تحدث وائل و عيناه ممتلئتان بالاسئلة قائلاً:

- يااااه.. إذن فخلفك قصة لا نعرفها احكيها ربما يحدُث ما تتمني وتنتهي معاناتك معها.

ابتلع سمير ريقه وسطِ تشجيع باقي الأصدقاء له بأن يبوح بما داخله ثم رفع يده ليَسكتهم، ليبدأ حكيَه قائلاً بابتسامة باهتة

حزينة مستسلمة، وربما منتظرة حدوث شيء ما بعد حكيه للقصة:

- حسناً حسناً.. أتذكرون حينما كنا بالثانوية العامة في عامنا الأخير وقد قررت بأن أكمل دراستي في أوروبا بعدما ظهرت نتيجتنا وكان مجموعي هو الأعلى، وقد تخطيت حتى الدرجة النهائية بسبب مادة المستوى الرفيع، وابتِعدت وسافرت طبعاً، عُدت بعدها بعام وتحججت بأني لم أتحمَل الغُربة وبأن بلدي أولي بي من غيرها.. قد صدقتموني أليس كذلك؟

أومئ الجميع برؤوسِهم، متعجبين كيف حتى هذه كذبه، فاستكمل:

- حسناً لقد قدمت لي (جامعة أكسفورد) منحة تعليمية بعدما راسلتهم عبر الإنترنت وسافرت لإجراء بعضِ الامتحانات التي اجتزتها بسهولة، فرحت كثيراً، كانت تلك هيَ آخر أسعد أيامي حتى، اختاروا لي مكان سكن يتبعهم ولكنه بعيد عن الجامعة، وفي منطقة نائية وسط طلاب يعرفون المنطقة جيداً وكذا البلد وأنا الجديد بينهم ولا أعرف شيئاً، وهناك بدأت قصتي فقد كنت أحب التمشي في حديقة المكان التي يوجد بها شُجيرات ميتة يابسة، وكذا بِعض الورود التي لاتزال تقاوم الموت ولكن ما لفت انتباهي هيَ تلك الشجرة الكبيرة الوارفة، لقد كانت شجِرة عجيبة لأن بها أغصان ميتة، وكذا أغصان وفروع خضراء.. مرت أسابيع وأنا أتمشى كل يوم وأتوقف لدقائق طويلة أتأمّل تلك الشجرة وعلاقاتي بمن حولي كانت سطحية، فبيئاتنا مختلفة تماماً

عن بعضنا، ولم تلتقي أفكارنا مع بعضها إلا قليل حتى بدأت الكوابيس كل ليلة، لم تمر ليلة لم أحلُم فيها بتلك الشجرة وبأن شيئاً ما يجذبني تجاهها رغماً عني، وأنا اتألم وأقاوم وأشعر بألم في كلتا يدي، أستيقظ صارخاً وآثار أصابع حول رسغي يديّ متلونة بالأسود ولا أعرف السبب، وكان فضولي يدفعني كل يوم للوقوف أمام تلك الشجرة والدوران حولها متسائلاً عن سبب مجيئها كل ليلة لي بأحلامي، حتى أنني حادثتها متسائلاً وكأنني مجنون يتحدث إلى شجرة، ولكن جاءتني الإجابة في تلك الليلة، نمت خائفاً رغماً عني فيجب عليّ الاستيقاظ مبكراً لحضور دروسي، لا أريد أن أفشل فهذا مستقبلي، وما أتمنى حدوثه لي قد حدث، فما لي غير أن أجتهد وأحقق أحلامي.. نمت وأنا أقول لنفسي هيَ محض أحلام وكوابيس بسبب غربتيِ وبُعدي عن أهلي لأول مرة لآلاف الكيلومترات، ولكن كانت هي تلك الفاتنة الجمال صاحبة الفستان سماوي اللَّون لا أبيض ولا أزرق فيما بين اللَّونين، وذاك الشعر الأشقر الطويل المتدلِّي منها وكأنه يحكي قصة جمال فتاة حسناء، ولكن جلدها أصفر اللَّون بشكلٍ عجيب، يديها، قدميها، ووجهها الأصفر وكأنها مريضة بالصفرة كما يقولون، وأنفها الدقيق من الناحية اليمنى ينزف دماً، وعينيها ليست كأي عين رأيتهما في حياتي أبداً لا سوداء ولا زرقاء، لا أستطيع وصف لونها ولكنها تحمل من الرعب الذي تبثه في النفس مالا يحمله عفريت في أقدم مقبرة في العالم، لا أستطيع حتى أن أجفل بجفني، أشعر وكأن عيناي مثبتتان فيها، يتحركن مع تحركها ويثبتان في النظر إليها مع توقف حركتها وكأنني انسان آلي وهى ريموت التحكم بي، جميلة جمال مرعب، توقفت

طويلاً حتى سمعت صوتها يناديني باسمي "سمير.. سمييير" ويا لسحر صوتها، أبدع الخالق في تلك الأحبال الصوتية، تبسمت في منامي لأول مرة منذ ليالٍ لم أعرف فيها طعم النوم ولا أي شيء سوى الرعب، ثم شعرت بيدٍ تمتد إليّ لتوقظني "سمير أستيقظ فاتك ثلاث محاضرات ماذا بكَ"

تنبهت فإذا هو صوت (ريمون) زميلي، نظرت حولي لأجد الشمس تسللت للغرفة وانتصفت كبد السماء، ولكنيٍ لم أكن خائفاً، نظرت إلى ريمون متسائلاً عن الساعة، فإذا هي تخطت الثانية عشر ظهراً، ومع أنني لم يكن لي أصدقاء، ولكني كنت بحاجة لأن أحكي يجب أن أحكي ما يحدث لي، وبالفعل طلبت من ريمون رفيقي في المسكن أن يغلق الباب وقد فعل متعجباً، ولكن تعجبه تحوّل لدهشة وعيناه مفتوحتان على آخرهما، حينما حكيت له ما يحدث معي ابتلع ريقه مع آخر حرف حكيته، ثم سألني سؤال غريب:

- هل كانت تلك الفتاة ترتدي قلادة مميزة، أو حتى تاجاً فوق رأسها؟

لم أجاوبه سريعاً، فقد كنت أستعيد رسم ملامحها في عقلي مرة أخرى، فقد كنت مفتوناً على أن أركز في تفاصيل داخل حلمي، وتنبهت حقاً لوجود قلادة متوسطة الحجم مميزة الرسم كانت ترتديها حول عنقها.

فجاوبته بسرعة:

- أجل أجل.. قلادة جميله أعتقد أنها نحاسية.

أومئ برأسه بحزنٍ ثم رفعها وهو ينظر إليّ بشفقة قائلاً:

- إنها (ماريا).. الكونتيسة ماريا، ويبدو أنه وقع اختيارها عليك.

تعجبت لكلماته فسألته:

- لم أفهم.. وضح لي رجاءاً.

- إنها من أجمل نساء عصرها كانت إذا اشتهت شيئاً يُحضر إليها في الحال، كانت مُدللة والدها حتى أصابها مرض لعين، حزن عليها والدها حزن شديد وحاول علاجها بالطب والدواء، ولكن لم ينفع معها شيء، كانت مدللة والدها عن إخوتها و يحبها الجميع و لهذا السبب طرق والدها أبواب الدجالين، حتى جاءه أحدهم شديد الحنكة طلب منه الكثير من الأموال وثلاث أيام فقط مع ابنته الكونتيسة وسوف تعود أفضل مما كانت، صدقه والدها لأن لا حيلة له، وعاش معهم ذلك المشعوذ الدجال ثلاثة أيام يتمتم الطقوس ويفعل ما يحلو له بالقصر ولا يستطيع أحد التفوّه بكلمة معه، ذلك القصر الذي لم يجرؤ أحد حتى علي رفع نظره إليه، ومرّت الثلاثة أيام وبالفعل حدث ما وعد به، أفاقت الكونتيسة من مرضها وكان قد صَنع لها قلادة ما، لا ينبغي عليها أن تخلعها مطلقاً واختفي بعدها، ولكن تغيرت الكونتيسة ماريا، عيناها كانتا باهتتين ولم تكن تضحك وتحكي مثلما كانت، وبدأت الشائعات تنتشر بالبلدة أنها مسكونة من روح شريرة، وأن ذلك المشعوذ استعان بقوى سوداء شريرة لمحاولة علاج الكونتيسة

التي كان موتها محتم، بدأت تصرفاتها تُنبأ عن صدق الشائعات حتى جاء اليوم الذي استيقظ فيه أهل البلدة ليجدوا الكونتيسة تقف خارج أبواب القصر وحدها، وقد غلقت الأبواب على أهل القصر وخدامه، وأشعلت النيران فمات الجميع إما مخنوقين أو محروقين، وحينما اقتربوا منها زامت وهاجت واحمرّتعيناها، خافها الجميع ولكن اقترب من خلفها شابينِ استطاعا جذبها وتكتيف يديها ثم قدميها، فسقطت أرضاً وهيَ تُصدر أصواتٌ عالية مخيفة، ليس صوتها بالتأكيد وجاء زوج إحدى الخادمات قد ماتت زوجته وولديه غاضباً وأشعل بها النيران وسط أهل القرية، ولمِ ينقذها أحد بل خاف الجميع الاقتراب، فتوعدتهم جميعاً وهيَ تموت بانتقام مرير بصوت مخيف، ماتت ودفنوها داخل القصر مع من ماتوا بعدما خمدت نيرانه المشتعلة، وبعدها بأيام وجدوا الشابين اللذان قيداها منتحرين شنقاً بعدما هاموا لأيام في القرية يقولون بأنهم يرونها كل ليلة في أحلامهم، وأما من أشعل بها النيران فقد وجدوه يقطع نفسه إرباً وهو يصرخ بأنها تُمسك بيده وتقطعه فرمي نفسه من فوق جرف ومات من فوره، خاف الجميع ومنهم من غادر البلدة للأبد والباقين ظلوا يلقون بالورود كل يوم أمام القصر حيث احترقت كاعتذار منهم لها خوفاً منها حتى أصبحت عادة إلى يومنا هذا، ولكن كل هذه حكايات وأساطيرِ لا أعرف كيف تتحقق معك، وأما تلك الشجرة فقد زرعتها هيَ منذ صغرها، وكانت تأتي كثيراً لترويها وسط حرس والدها ومحبة أهل البلدة قبل تحولها، أعانك الله يا زميل إن كانت الأسطورة صحيحة.

لم أعرف بمّ أرد عليه، عُقد لساني ولكني أعرف جيداً بأنني كنت قد قررت مغادرة البلاد ورمي أحلامي ورائي وليكفيني هذا، ولكن بمّ أتحجج؟ وماذا أقول؟ عفريتة قصر قد ظهرت لي..!

لا لا.. سخف هذا وقلة إيمان، سأستمر هنا مهما حدث.

مرّت أيام وتعلقي بها يزيد، وأصبحت أريد وبشدة زيارة قصرها وهى تأتيني كل ليلة، ولا أستطيع احتمال يومي إذا لم تأتيني، ولكن وبالصدفة وجدت كتاباً يحكي ما حكاه لي صديقي ريمون بالمكتبة وأنا أنجز بحثاً طلبه منا مدرس، تمعنت القراءة فيه حتى عرفت من كاتبه بأنها تغوى الشباب كل فتره وتجذبهم لقصرها ثم تفعل بهم كما فعل الشابان اللذان قيداها بنفسيهما، تملكني رعب كبير، لم أستطع سوى أن أكمل القراءة بشغف وخوف باحثاً عن حل طوق نجاة فقط، لا أريد أن أموت، لا أريد الموت بهذه الطريقة أيضاً وقد ذكر الكاتب أنها طالما اختارت شاباً فلن يستطيع التخلص من لعنتها إلا ...

- أجل.. إنها هيَ أجل، إلا ماذا يا كاتبنا المبجل؟

إلا إذا استطاع انتزاع قلادتها وتلى هذه الطلاسمِ وحفظها عن ظهر قلب، نسيت كل ما قرأته إلا من هذه الجِمل التي لا أفهمها، ولكن سأقولها تراجع مستواي في دراستي ولم أعد أستطيع التركيز، أنا سأموت وبأبشع الطرق، لا وألف لا سأفكر في طريقة تنجيني.

مرّت أيام تأتيني وتغويني حتى ذهبت بالفعل إلى قصرها وياله من منظر مهيب، قصر كبير عتيق كما يرسمونه بأفلام الكرتون بقلعه في منتصفه والكثير من النوافذ العتيقة الحديدية، أزحت البابِ بيدي، أجل بيدي وأنا أنظر تحت قدمي متخيلاً منظرهاِ وهيَ مشتعلة بها النيران وأنا أبتلع ريقي، ولكن لا تراجع فهيَ تدفعني دفعاً لزيارتها في قصرها وأنا في داخل داخلي لا أريدِ الموت، وصلت بخطوات ثقيلة حتى وصلت لبهو القصر وهيَ تظهر لي بظهرها وتجري حتى توقفت أمامي والتفتت إلي لتواجهني وشعرها الذي لا أنساه منسدلٌ حولها وسحرها الأخاذ يسلِب قلبي حتى عُقد لساني ولم أستطع فعل شيء، حتى همَست لي:

- أحبك.. اجتمع معي في عالمي.. تعالى إليّ.. وأدارت رأسي بأصابعها الحانية لأرى مصيري، مُتداني أمامي حبل مشنقة يقترب مني رويداً رويداً، حتى وصل أمام رأسي، وقبل أن تُدخل رأسي به اجتاحني شعور أريد أن أعيش وان كنت أعشق شبحاً، فنظرت إليها ثم على حين غرة مددت يدي بسرعة وأمسكت بالقلادة وشددتها بكل ما بقى لديّ من قوة، فصرخت عالياً بصوت مرعب لم يكن صوتها الرقيق، واحمرّت عيناها حُمرة الدم، وهاج شعرها حولها واشتعلت النيران حولي فأدرت ظهري وظللت أجري وأجري، و لم أنظر خلفي مطلقاً، حتى وصلت لصديقي ريمون وأنا ألهث، أسلمته القلادة ليتخلص منها بمعرفته فأنا لا أريد سوى تذكرة الطيران والعودة لبلدي لحضن أمي سليماً، وقد كان ولم أتواصل حتى مع ريمون منذ ذلك الوقت وحاولت...

تنهد سمير مستكملاً:

- حاولت النسيان.. كنت أراها كل ليلة وأصحو مُلتاعاً مُتعرقاً خائفاً ثم بدأت تأتي على فترات.

تنفس الجميع الصعداء بعد أن تنبهوا بأن جميع من بالعربة قد تجمعوا حولهم ليستمعوا للقصة، تعرق الجميع وشخصت عيونهم خوفاً وقال له صديقه (أحمد):

- يا صديق.. حقاً تخفي كل هذا وراء مزاحك وضحكاتك، إنها لتجربة تغير مجري حياة الإنسان.

قالت (منال):

- يا إلهي.. حمداً لله أنها انتهت وقد تخطيت هذه المرحلة.

فجاوبها مسرعاً:

- ومن قال بأنها انتهت؟

نظر الجميع لبعضهم البعض وقد توقف القطار بمحطة ما، وتنبه من يريدون المغادرة بأنها محطتهم وبدئوا بالنزول من القطار وأناس جدد يستقلونه وتساءلوا كيف لم تنتهي قصتك؟

- استلمت البارحة ليلاً بريد الكتروني من صديقي ريمون يقول فيه بأن القلادة يجب أن تعود لصاحبتها.

نظر الجميع إليه بخوف وتعجب، ثم قال أحمد:

- كيف يقول ذلك ألم يتخلص منها؟

ابتلع سمير ريقه قائلاً:

- لا أعتقد.. فقد كان مولعاً بالأساطير والحكايات والتحقق منها، وأعتقد أنه نقب بحثاً وراء القصة حتى أنني اتصلت قبل المجيء إليكم بهاتفه وأجابتني أخته باكية بأنه قد مات منتحراً فجر اليوم.

ثم بدأ القطار بالتحرك ليغادر المحطة ولكنهم وجدوا سمير قد شخص بصره وهو ينظر أمامه وفتح فاهُ عن آخره وبدأ يُصدر أصواتُ كمن يكون في نزعه الأخير، ثم ارتفع بصره للأعلى وانقطع نفسه ولم ينطق، اقتربوا منه متلهفين، وجدوا حول رقبته آثار حبل كَمَن خُنِق. نظراتهم جميعاً كانت كافية لتحكي عن رعب حقيقي اقشعر له أبدانهم.

(17)

هتف (محمود علام):

- يالها من نهاية غير متوقعة..

أيّده الجميع بهزات رؤوسهم، وكلمات الاستحسان منهم..

أمسك (محمد مجدي) بالأوراق ونحّى ورقة (مروة المأذون) ثم خلط الأوراق وقدمها لـ(مروة) التي سحبت أبعد ورقة، وفتحتها بهدوء.

ابتسمت (مروة) وهيَ تنظر إلى (محمود الجعيدي) قائلة:

- (محمود الجعيدي) آمل أنت تكون قصة ذات مذاق خاص..

ابتسم (محمود)، ثم أخذ نفسًا عميقًا، وبدأ يحكي..

(18)

الأعور

ضربة مطرقة هائلة شعُرت بها في رأسي حين فتحت عيني، انتفضتَ في مكاني ثم اعتدلت في مقعدي بالسيارة، نفخت في يدي محاولاً إكسابها بعض الدفء اللازم، كان قد مرّ عليّ أربع ساعات كاملة في هذا المكان النائي بعد أن تعطلت سيارتي، ستار الليل يهبِط تدريجياً ويوشك أن يبتلعني داخله مع السيارة، خرجت من السيارة وأرسلت بصري إلى مالا نهاية باحثاً عن وميض سيارة قد تكون قادمة، كان البرد يستشري في جسدي بسرعة رهيبة، قررت أن البقاء هنا صار غير ذي جدوى، أحكمت إغلاق نوافذ السيارة وحملت معي زجاجة ماء وسرت للإمام، كان الطريق ممتداً أشبه بصحراء قاحلة بينما الظلام يطاردني بلا هوادة، شعرت أنني سأقضي ما بقي من عمري كله ضاع هنا، لاحت لي من بعيد أنوار تظهر على استحياء، أسرعت الخطى والأمل باتجاه منزل كبير أشبه بقصر مهجور ويغطس وسط كومة هائلة من الأشجار العالية، نفخت في يدي مرة أخرى محاولاً در بعض الدماء ثم طرقت الباب عدة طرقات متعاقبة وقوية، سمعت صوت خطوات ثقيلة تقترب من الباب، ترقَّبت من يفتح البابِ بلهفة، لحظة.. ثم تحركت المفصلات بدوي مزعج وظهر رجل.. رجِل أعور بشع الوجه.

نظر لي الأعور بعينه السليمة نظرة غاضبة بينما ظلَّت عينه المطموسة تحدق في اللاشيء، ابتلعت ريقي بصعوبة ثم شرحت له المأزق الذي أنا فيه، تفحصني الأعور من أعلى إلى أسفل، كنت أشعر أنه قد يلقيني أو يطرحني أرضاً في أي لحظة، طوله الفارع وعضلاته النافرة كفيلة بسحقي في ثوانٍ.

فوجِئت به يفسح لي المدخل قائلاً بغلظة:

- ادخل..

تقدَّمت للداخل بسرعة وأنا أحمد الله على ما صرت فيه، كانت الرائحة في الداخل عطنة وكريهة وهناك شقوق كثيرة تملأ الجِدران، لكن على الأقل هناك سقف يحميني من تلك البرودة وحين تشرق الشمس سوف أكون مغادراً، أشار لي الضخم باتجاه ردهة واسعة، دخلتها ثم انتقيت مقعد كبير وأرخيت جسدي عليه، تركني الأعور وغاب داخل أحد الممرات، تفحصت المكان بنظرة سريعة، يبدو قديماً وكأنه سرق من رواية أسطورية.

بعد قليل سمعت صوت سلاسل حديدية تصطدم ببعضها، وبصوت خطوات بطيئة وكثيرة، التفتّ بوجهي نحو مصدر الصوت، ظهر أمامي ثلاث فتيات في العقد الثاني من العمر، لديهم مسحة هائلة من الجمال والرقة، ويرتدين فساتين بيضاء أشبه بفساتين العرائس، وفي أقدامهم أغلال.

تسمرت في مكاني للحظات، لم تنظر لي الثلاث فتيات واكتفين بإلقاء سلام خافت:

- مساء الخير.

- مساء النور.

قلتها وأنا أتبعهن وهن يجلسن على مائدة خشبية مستطيلة، جاء الأعور وهو يحمل إناء ضخم تتصاعد منه أدخنه بنية شهية الرائحة، شار لي بأن اجلس على المائدة.

كانت هناك ستة كراسي تحيط بالمائدة، تم احتلال ثلاثة منها بواسطة الفتيات، انتقيت كرسي يواجه الثلاثة وجلست صامتاً، اكتفيت بأن أراقب كل ما يحدث.

نظرت لي الفتاة الصغرى من أسفل عينيها وابتسمت لي ابتسامة خفيفة كشفت عن صف من اللؤلؤ، زمجر الأعور لها فانكمشت في مقعدها مثل قطة صغيرة خائفة، ضرب الأعور مغرفته في الإناء وأخرجها ممتلئة بسائل أصفر يحوي قطع حمراء وصبها في الطبق الموجود أمامي، ملأ أيضاً أطباق الفتاتين وترك طبق الصغرى فارغاً، رفعت له رأسها فيما يشبه السؤال،قال بحدة:

- عقاباً لك..

قلت معترضاً:

- إنها لم...

قاطعني محذراً وهو يلوح بالمغرفة المعدنية:

- اهتم بشئونك..

وضعت وجهي في الطبق وبدأت أتناول الأكل، كان الطعام مُر المذاق لكنه حرك الدماء في عروقي وأيقظ في الكثير من خلاياي المنهكة، بين الحين والآخر كنت أنظر للفتيات وهن يأكلن بصمت وبطريقة آلية.

نظرت للفتاة المعاقبة، كانت تحدق في السقف صامتة، أنهى الأعور طعامه ثم نهض حاملاً إناء الطعام ليخفيه في المطبخ.

بسرعة نهضت من مكاني ثم صببت لها ما تبقى من طبقي:

- بسرعة

قالت الفتاة بخوف وهو تُزيح عنها الطبق:

- لا لا.. عد إلى مكانك..

سمعت خطوات الأعور تقترب!

- لا تخافي.. كل شيء على ما يُرام..

توترت الفتاتين الآخرين، قالت وهو ترتعد:

- لا لا..أنت لا تعرفه، انه شيطان..

فتحت فمي لأنطق، أحسست بيد ثقيلة على ظهري، التفت بسرعة، رأيت العين المطموسة، رأيت المغرفة المعدنية ترتفع في الهواء، سمعت صوت (البوووووم)، ثم فقدت الوعي.

شهقت حين فتحت عيني، كان هناك ألم في مؤخرة رأسي، تحسست رأسي فاستشعرت بجرح صغير وبكدمة أشبه بحبة ليمون كبيرة، تفحصت ما حولي بسرعة، كنت داخل حجرة صغيرة خالية من الأثاث ما عدا سرير قديم تم وضعي عليه، كانت شباك العنكبوت تغزو السقف بلا رحمة وصوت ذبابة لا أراها يرن داخل أذني بلا توقف، نهضت من فوق السرير واقتربت من باب الغرفة المصنوع من الخشب والمطلي باللَّون الأسود الكئيب، أمسكت مقبض الباب وحاولت تحريكه فاهتزت المفصلات دون أن يتزحزح، كان الباب مغلق من الخارج لمنعي من المغادرة، ناديتُ بأعلى صوتي، رن صدى الصوت وذهب وعاد عدة مرات.

بعد قليل سمعت صوت السلاسل المعدنية ثم سمعتِ صوت تكة قفل بعدها فتح الباب وظهرت من خلفه الفتاة وهيَ تحمل إناء صغير به ماء وقطعة قماش.

- كيف حالك؟

سألتني بودِ ولينة، قلت:

- بخير.. من هذا الرجِل؟ ولماذا يتصرف معكم هكذا؟

وضعت الفتاة إصبعها على فمها في إشارة أن أصمت وقالت بخوف:

- اسكت.. أرجوك.

ثم سحبتني من يدي وأجلستني على السرير قبل أن تستطرد:

- سأنتهي من تنظيف جرحك ثم أخرج.

تركت نفسي لها فبدأت تغمس قطعة القماش في الماء وتمسح بها مكان الجرح، بعد قليل اصطبغ الماء باللَّون الأحمر الباهت قبل أن تُحيط الفتاة رأسي بلفة من القماش، فجأة سمعت صوت خطوات الأعور قبل أن يقتحم علينا المكان وهو يصرخ مثل الوحش، جذب الفتاة من شعرها ثم سحلها على الأرض، كانت تتلوى وهى تحاول تخليص شعرها من قبضته، نهضت من مكاني لكن قبضته التي عانقت وجهي وهشمت أنفي أعادتني بسرعة، أغلق الأعور عليّ الباب بينما الفتاة تتلوى تحت قبضته، هرعتِ باتجاه الباب، أرسلت بصري عبر فتحة القفل، كان اللعين يجرّ الفتاة من شعرها مثل الذبيحة، صرخت وضربت الباب بقبضتي، لكن ما من مجيب، أو أمل.

لا أعلم تحديداً كم مر عليّ من ساعاتٍ وأنا سجين هذه الغرفة الصغيرة، مئات الأفكار والأصوات تعاركَت داخل رأسي، أخيراً ظهر الأعور على الباب وأشار لي بأن أتبعه، حاولت أن أبادله أطراف الحديث لكنه كان لعين صامت، أمام باب الخروج من القصر أشار لي بأن أغادر ولا أعود، نظرت إلى الطريق الطويل الممتدّ ثم

إلى داخل القصر حيث الفراغ الذي يتناهى مع الجدران، قبل أن أفتح فمي بكلمة دفعني في صدري أو بعبارة أكثر وضوحاً ألقاني إلى الخارج وأغلق الباب بقوة، ألقيت عليه سبة بذيئة وتمنيت أن يسمعها ثم ابتعدت مسرع الخطى، حين أوشكت على المغادرة سمعت همساً يأتيني من أعلى، رفعت وجهي فلمحت الفتاة تودعني بحزن وهي تتوارى خلف شباك نافذة صغيرة بالطابق الأخير، رأيتها تلقي لي بورقة صغيرة فالتقفتها في الهواء قبل أن تلامس الأرض، كانت هناك كلمة واحدة مكتوبة، (أنقذنا).

دع الخلق للخالق، هذا ما حدثتني به نفسي وأنا أبتعد عن هذا المكان الملعون، يمكنني أن أصلح السيارة ثم أعود بدستة من الرجال الأقوياء وننقذ الفتيات، راودني هاجس أن يصيبهم هذا الأعور بأذى قبل أن أعود، انتظرت ساعات قليلة حتى هبط الليل، درت حول القصر عدة دورات، كنت أبحث عن مكان مناسب للتسلل، انتقيت نافذة قريبة من الأرض وحجمها مناسب لجسدي، تمهلت حتى انتصف الليل وصرت متأكداً أن الأعور قد نام، كسرت النافذة ثم دخلت، كان الظلام يبتلع كل شيء، استعنت بضوء كشاف صغير حمله ورحت أسير بحذر، لم أكن أعلم أين توجد الفتيات لكني خمنت أنهن في الطابق الأخير حيث ألقت لي الفتاة الورقة، تسللت إلى الطابق الثاني وفي طريقي سمعت صوت شخير الأعور، كتمت أنفاسي وأنا أمر من أمام غرفته، وصلت للطابق الثاني، كان نظيفاً على غير عادة بقية القصر، لمحت ضوء خافت يخرج من تحت عقب باب واحدة

من الغرف، ربما تكون الفتيات بالداخل، اقتربت، فتحت الباب ودخلت، ثم رأيتها.. ميتة.

رأيت طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها العشر سنوات وملفوفة في كفن أبيض وقد وضعت فوق لوح من الرخام الأحمر، لوهلة تجمدت في مكاني، كان خوفي هو المسيطر عليّ في تلك اللحظة.

اقتربت من الطفلة، أرى سلام الدنيا والآخرة فوق ملامح وجهها، أي شيطان فعل بك هذا يا صغيرتي، تمنيت لو كنت أحمل سلاح، كنت سأفصل رأس هذا الشيطان الأعور عن جسده، غادرت وأغلقت خلفي الباب، أكملت طريقي للأعلى، وصلت حيث الفتيات، كن موجودات داخل غرفة منعزلة ومغلقة بقفل نحاسي كبير نقش فوقه طلسم سحر غريب، حاولت أن أهشمه، جاءني صوت الفتاة تطلب مني أن أسرق المفاتيح من الأعور، أخبرتني أن القفل والأغلال مدموغة بسحر قديم يمنعهن من مغادرة القصر، أي هراء هذا، عدت أتلمس طريقي إلى الأسفل، ظلال الجدران تمثلت أمامي في ألف شيطان وشيطان، وصلت حيث الأعور، كان شخيره مرعب أكثر من وجهه، اطفأت كشافي ثم تسللت على أطراف أصابعي، اقتربت منه، كان المفاتيح معلقة في سلسلة حول رقبته، مددت يدي التي كانت ترتعش، حاولت نزع السلسلة، تصبب بعض العرق على وجهي على الرغم من برودة تلك الليلة، حين أوشكت أن انتزع السلسلة تماماً توقف عن شخيره ثم فتح عينه السليمة.

تجمدت في مكاني للحظة، عاد صوت شخيره يعلو من جديد، ارتخى جفنه ببطء ثم أغلق عينه، ربما كان يحلم، انتزعت سلسلة المفاتيح، صعدت للفتيات من جديد وفتح قفل الباب الذي أصدر تكة عالية وشرارة زرقاء، أرى الفرح في أعينهن، رحت أفك أقفال الأغلال المدموغة بالسحر، حين انتهيت صحت بفرح.

سألتني الفتاة عن الأعور، أخبرتها أنه يغرق في النوم، تسللنا جميعاً إلى الأسفل، عند باب الخروج توقفت الفتيات، أخبرتهم أن الأمور على ما يُرام، هيّا لنهرب من هنا، ضجة عالية وصراخ، اهتزت الأرض قبل أن أرى الأعور يهرع نحونا صارخاً في غضب، كان يحمل سيف كبير كفيل بشقي نصفين وبتمزيق الفتيات، لم أجد بداً من التصدي له، تناولت مقعد صغير ورفعته كصدادة وأنا أقف أمام الفتيات لأحميهن، الأعور يرفع السيف ويطوحه في وجهي، وأظلم كل ما حولي، فقدت الوعي، أو مت.

فتحت عيني، استقبلني ظلام هائل رهيب يغزو كل خلية في جسدي، كنت ملقى على أرضية صلبة باردة مثل لوح الثلج، حاولت النهوض، فوجئت بأغلال السحر تحيط بقدمي، مددت يدي وأخرجت كشاف صغير أشعلته ثم ضربت نوره في الأنحاء، ارتجفت في مكاني، في أقصى يسار القبو شاهدت جسد أحد الفتيات وهو مكوم على الأرض داخل الفستان الأبيض ويسيل منها خيط طويل من الدماء، قتلها، قتلها اللعين، تحركت بخطوات مرتعشة وأنا غير قادر على منع الدموع التي انهمرت من عيني، ترى من الفتيات التي لاقت هذا المصير، انحنيت على ركبتي ثم أدرت وجه الجثة نحوي، أصابني تيار كهربائي

وارتعشت، صرخت من الرعب ثم سقطت على ظهري، كانت الجثة للأعور وقد ارتسمت على ملامحه أقصى درجات الفزع والألم، زحفت على ظهري حين انفتح باب القبو وظهر خلفه، الشيطان.

يقال أن الشيطان حين استوطن الأرض أغوى إنسية من بنات آدم بعد تشكل لها على هيئة شاب وسيم، أنجبت المرأة ثلاثة فتيات يحملن جمال أمهم وشر أبيهم، تم حرق الأم على يد أهل القرية بينما اختفت الثلاث فتيات، وعلى مر السنون ظلت الثلاث فتيات في مناي عن عين البشر، ولأنهن مخلوقون من نصف طين ونصف نار فقد كنَّ خالدين وكان طعامهم أرواح البشر، كانت الثلاث الفتيات يخطفن الأطفال ويسلبن منهم أرواحهم ويقمن بطقوس شيطانية في حضرة أبيهم، تمر السنون ثم يقمن بخطف ابنة حطاب المدينة، الحطاب يصل لقصر الثلاثة لكن الأوان كان قد فات، وتم قتل ابنته، تدور معركة بين الحطاب والثلاثة الفتيات، تنتهي المعركة بطمس عين الحطاب ليصبح أعور ويتم وضع الثلاثة فتيات في أغلال مدقوق عليها طلسم ليمنعهم من الخروج وأذية البشر، يتم ربط سحر على القصر ليصير الحطاب هو الحارس الأبدي عليه في مناي عن الزمان والمكان، ويقوم الحطاب بالاحتفاظ بجثة ابنته داخل أحد الغرف لتذكره دائماً بشر هؤلاء الثلاثة، عند تلك النقطة أفقت من سيل الخواطر التي تواترت على عقلي مع دخول الثلاث فتيات، كن يرتدين ملابس سوداء مصنوعة من الجلد المدبوغ وتفوح منهن رائحة كريهة، شعرهن يتراقص في كل تجاه مثل

ثعابين شاردة، تراجعت إلى الوراء، اقتربن مني ببطء، ببطء شديد، أحطن بي بهدوء شديد، رأيت الفتاة تجذب من وراء ظهرها طفلة صغيرة شاحبة الوجه باكية العينين، مدت لي سكين ضخم معقوف النصل، ألقيت بالطفلة تحت قدمي، أمسكت السكين بخوف وأنا أنقل بصري بينها وبين الطفل الصغيرة، نظرت إلى الأعور القتيل، ابتلعت ريقي بصعوبة، نقلت وجهي بين الفتاة والطفلة، رفعت السكين، صرخت، ثم طعنت.

(19)

هتف (هيثم) بحماس:

- قصة رائعة كعادتك يا (محمود)..

قال (أمجد) مستمتعاً:

- هكذا يكون الرعب..

قالت (رحاب) :

- لقد أعجبتني بشدة..

ثم صفقت بيديها بمرح.. فقال (محمد مجدي):

- أظن التالي لك سوف يعاني، إني مشفق عليه.

ضحك الجميع بخفة..

قال (عمرو):

- أعطوني الأوراق.. أريد أن أعرف من يستحق الشفقة..

ضحك الجميع بصوت مرتفع..

أمسك (عمرو) بالورقة المختارة، وقال بصوت حاول جعله مرعباَ:

- (محمود علام).. محمودين وراء بعضهما!

ثم التفت إليه راسمًا الشفقة على ملامحه، وهو يقول:

- أتمنى لك التوفيق..

ازدرد (محمود علام) لعابه، ثم بدأ يروي قصته.

(20)

مصطفي وعمر

الهواء ساكن، لا يتحرك، كل شيء متوقف، حتى الضباب لا يتحرك، هل الدبيب الذي تشعر به في صدرك هو قلبك ينبض بعنف؟

ربما هي آخر لحظاتك، ربما هو (الأبينفرين) يجرى في دمك، ربما هو شيء ما لا تدري قطعاً، تمُد يدك لتخرج القلادة، ليست هنالك!

- يجب أن نبحث عن ثغرة قانونية، لابد من وجود واحدة.

- من تظنني؟ لست (جاك فرجيس).

- ومن هو جاك فرجيس؟

- محامٍ بالطبع، ظننت هذا واضحاً.

- وما علاقته بالموضوع؟

- اخرس! فقط اخرس..

أنت تخرج يدك من جيبك .. القلادة في يدك..!كيف؟ أنت لم تلمسها ولم تشعر بها فكيف هيَ في يدك؟

الضربات والدبيب في صدرك يتعالى، الخوف.. الخوف عندما يتجسد ويصبح له طول وعرض وارتفاع، الخوف.. الخوف الأولي الوحشي الذي ينتابك من المجهول، انه الخوف.

- أخرس؟

- نعم اخرس.. أنت تأتى لي بجريمة قتل وسرقة أموال وإخفاء جثة، وتسألني عن مخرج قانوني؟ ماذا تعتقد أنني سأقول لكَ؟

- إذن فليس لديك مخرج؟

- كلا بالطبع يمكنك الهرب، هذا هو الحل الوحيد.

تنظر نحو أخيك انه متجمد، متجمد كدجاجة في ثلاجتك، تمد يدك نحوه، انه لا يتحرك، كأنه متجمد بالفعل، الهواء ساكن، الضباب لا يتحرك، كأن الوقت نفسه توقف، ولكن الوقت؟

الوقت متوقف بالفعل، لا شيء حولك يتحرك، تنظر أمامك، ثمة شيء ما يتحرك هناك، شخص ما قادم في اتجاهك من الأفق.

ما هذا الذي يحمله؟

انه يلمع، يلمع كالنصل، كالنصل؟

الدبيب فى صدرك يتعالى، تفكر بسرعة، تستدير إلى الخلف، تفتح باب السيارة، تجلس على المقعد، تدير المحرك، لا يستجيب، لا يوجد صوت محرك حتى، تنظر إلى الغريب القادم، انه يقترب..

أقول له:

- (عمر) .. دائماً أفكر في أن لديك جينات قاتل أو إرهابي كبير.

- أنا لا أمزح.

- أعرف يا عزيزي، أعرف أنك لا تمزح.

أنظر له في ضيق وينظر لي في سخرية.

- أنا أكثر شراً من أي ذبابة قتلتها في حياتك.

- ليس هذا مضحكاً.

- دعنا من هذا، انه مجرد ميراث بعد كل شيء.

- بالضبط.. لن نتفق أبداً.

أنظر له في صمت، أخي دوماً كان بارداً، لم يحزن على وفاة أبي أو أمي، بالأحرى لم يحزن على شيء في حياته، بل بالعكس، كان دائماً يبدو وكأنه سعيد بالنقود التي سيجنيها في الميراث!

لم نتفق أبداً على أي شيء، دائماً كنت بالنسبة له مصطفى الصغير الذي لا يفقه شيئاً عن أي شيء، وكل مهمته في الحياة هو أن يجعل حياته جحيماً.

حتى بعد وفاة أبي، لم يهتم بوجوده معي، لم يهتم بأي شيء إلا بالنقود التي سيجنيها، ولولا أن القانون في صفي لما سمح لي حتى بأخذ حقي الشرعي في الميراث.

كم أتمنى لو أستطيع الدخول إلى قلبه، قلبه فقط، لو أنه فقط يشعر لمرة فى حياته.

- شيء يشغل تفكيرك؟

يخرجني من شرودي فجأة.

- لا .. فقط احترس.

يدوي صوت مكابح السيارة الصارخ، ويمتزج بصوت الارتطام العنيف بمعدن السيارة، وصوت الجسد المتدحرج على الأرض ليرسم صورة الكارثة.. ثم يسود السكون تماماً.

- لقد قتلته.

أنظر لـ (عمر) في ذعر.. ينظر لي في رعب.

- لابد أن نخفيه.

- هل جننت؟ يجب أن نذهب للشرطة حالاً.

- (مصطفى).. ركز في كلامي، لو ذهبنا للشرطة ستكون النهاية.

- لا .. يمكننا أن نشرح لهم، انه خطأه هو، ليس خطأنا نحن.

- حظاً طيباً في إقناع الضابط بذلك.

- يا الهي.

- بالضبط.

ينظر للجثة على جانب الطريق، هامدة كخرقةِ في مطبخ، كومة من الملابس لا معالم لها، يتقدم نحوه.

- ما هذا؟

رجِل يرتدى كما يرتدي المجاذيب الذين تراهم في الطرقات خلف مسجد الحسين، سروال أبيض، وثوب أبيض، والكثير من الخرز الملون حول عنقه، وذقن بيضاء عملاقة، عاري القدمين بلا أي حذاء، أما عن عينيه، فحدث ولا حرج، عيناه شاخصتان في الأفق، يلمعان كاللؤلؤ، يلمعان ككشافِ يحدق في وجهك، تمتدّ يده إلى جيبه، أموال يعدها بسرعة، خمسة آلاف.. إلى جيبه الثاني، عشرة آلاف، ومازال يبحث.. أنظر إلى عمر.

- يبدو كساحر.

أحدثت عبارته ذعراً غير مبرراً في نفسي، أنه الخوف.

- انتهينا.

أنظر إلى مصطفى في إرهاق وتمتد يدي لتمسح العرق من على جبهتي، يا للحقارة.. يرتجف كالنساء.

- سيطر على أعصابك، لا أحد يعرف بأننا هنا.

- هو يعرف.

- بالضبط، وهو ميت الآن،

أزفر في ضيق، ثم أحيط كتفه بذراعي.

- هيّا بنا، لقد حصل على قبر وأخلينا مسئوليتنا، فلنخرج من هنا قبل أن يرانا أحد، يتعالى صوت المحرك هادراً، و يتبعه صوت عجلات السيارة المبتعدة.

- إذن لم يجد مخرجاً قانونياً؟

- لا.. كما قلت لكَ، كل ما قاله هو بالضبط ما قلته لك، الهرب وإنكار الأمر حتى أمام وجهك في المرآة.

نظرت إلى عمر وأنا أرتجف.

- كُف عن الارتعاد هكذا، قلت لك أنه الآن مدفون في الصحراء، لم يرنا أحد، لقد أتيت إلى هنا بناءاً على رغبتك فقط.

- كيف يمكنك أن تكون هادئ الأعصاب هكذا؟ لقد قتلت رجُلاً..!

- لا أعرف عما تتحدث.

أنظر له في دهشة، ينظر لي في برود.

- هيّا بنا، فلنعد إلى الفندق.

تراودني فكرة مجنونة، أريد أن أمشي على رمال البحر، عاري القدمين، لم أفكر كثيراً، سرعان ما خلعت حذائي وجوربي، ثم نزلت لأمشي على الشاطئ في الظلام وحدي، يا للانتعاش، الرمال الباردة تتخلل أصابعي مخلفة شعوراً منعشاً، قدمي ترتطم بشيء ما، شيء معدني، رفعتها لأجد تلك القلادة، قلادة فضية جميلة الشكل، تتدلى منها قطعة فضية مربعة الشكل، محفور عليها أحرف لا معني لها، أخذت أقلبها بين يداي، يبدو أن الحظ السعيد يأتي مرة واحدة، خمسة عشر ألفاً في جيوب ذلك الرجِل ذو اللحية البيضاء، والآن قلادة فضية ذات نقوش غريبة ملقاة هنالك، وكأنها بلا صاحب، أنظر إلى النقوش التي عليها، أحرف لا معنى لها، فلابد من العودة للفندق، لقد تأخر الوقت، يجب أن نعود إلى القاهرة.

يتعالى صوت المحرك إلى أقصاه، بينما ترفض السيارة أن تتحرك، المحرك شديد السخونة، عداد الحرارة يلمس السقف، كيف هذا؟

هذه سيارة حديثه، لا يمكن أن تسخن بمثل ذلك الشكل من تلقاء نفسها، أوقف السيارة على جانب الطريق بجانب عمود إنارة، أفتح غطاء المحرك حتى تبرد قليلاً، سيارة حمقاء، أنظر إلى مصطفى، انه يحدق هناك في الأفق، باتجاه الصحراء، أنظر إلى حيث ينظر، رجِل يرتدي كما يرتدي المجاذيب، سروال أبيض وثوب أبيض، والكثير من الخرز الملوّن حول عنقه، وذقن بيضاء عملاقة، عار القدمين تماماً، أما عيناه فحدث عنها ولا حرج على

الرغم من المسافة الكبيرة كانتا واضحتين تتألقان كاللآلي، تحتهما سوا د كثيف وكأنه ملطخ بالأصباغ تلمعان لمعانا ظاهراً، على الرغم من أننا واقفان تحت مصباح مضيء، ظهر الرجِل فجأة من قلب العدم أو هكذا رأيته، ليس وراءه غير الصحراء، كان يسير نحونا رافعاً يده وإصبعه تجاهي، مشيراً نحوي دون كلمة واحدة، أنظر نحو مصطفى لا شيء يدعو للخوف، ولكن.. رجِل يرتدى كما يرتدى المجاذيب؟

هذا مألوف، مألوف أكثر من اللازم.

أنظر إلى عمر.. لماذا أشعر بذلك الخوف، لا أدري، انه المجهول، الخوف من المجهول شيء بشري جداً ولا سبيل لتخطيه، تلك القشعريرة التي تشعر بها على ظهرك وأنت تشاهد حشرة غريبة لم ترها من قبل، تلك البرودة التي تشعر بها تجري على عمودك الفقري عندما تسمع صوتاً خارج غرفتك وأنت تعرف يقيناً أنك وحدك، انه الخوف، الخوف عندما يصبح سيداً، أنظر إلى ذلك الرجِل القادم من بعيد، رجِل يرتدي كما يرتدي المجاذيب، سروال أبيض، وثوب أبيض، والكثير من الخرز الملوّن حوّل عنقه، وذقن بيضاء عملاقة، عاري القدمين بلا حذاء، أما عن عينيه، فحدث ولا حرج، على الرغم من المسافة الكبيرة بيننا، كانتا واضحتين كاللؤلؤ، تحتهما سواد كثيف، وكأنه ملطخ بالأصباغ، هذا مألوف بشكلٍ ما، مألوف أكثر من اللازم، فجأة اختفى كل شيء، نور، ظلام، فجأة أنت تنظر إلى الرجِل وهو قادم، فجأة أخوك بجوارك، فجأة يختفي كل شيء، لا يوجد أي شيء حولك إلا السيارة.

- عمر.. أين ذهبت؟

لا إجابة..!

- عمر؟

صمت، صمت يثير القشعريرة في عروقك، تتجه إلى السيارة، هذا السائل الأحمر القاني على المقعد، تمد يدك، تلمسه، تتذوقه، ذلك المذاق المعدني المميز، الصدأ قليلاً، ضربات قلبك تتعالى، تنظر إلى التابلوه، قلادة فضية غريبة الشكل تقبع هناك، تلتقطها، تنظر إلى الحروف المنقوشة عليها.. انتظر أجلك.

(21)

قال (إسلام وهيب) بصوت متغول:

- حسناً سأنتظره..

ضحك الجميع بشدة.

قالت (رحاب) من بين ضحكاتها:

- لقد أضحكتنا أكثر من قصة محمود..

أكمل (أمجد):

- هذا لا يعني أنها غير جيدة.. لقد استمتعت بها..

قالت (أسماء):

- لقد أحببتُ ذلك الجوّ التصويري، كأني أشاهد فيلم رعب..

ابتسم (محمود علام) وقال بمرح:

- هذا يعني أنني اجتزت الاختبار بنجاح..

ردت (صفاء) راسمة الجدية على وجهها:

- ليس بعد.. لم ينتهي الجميع..

هزَّ (محمود علام) رأسه معتذرًا، ثم قال:

- هل يمكنني أن أقترع هذه المرة؟

ضحكت (صفاء) وأشارت له.. وضع ورقته بجيبه، ثم خلط الأوراق بقوة، وسحب ورقة بسرعة. فتح الورقة وقرأ بحماس:

- (منال عبدالحميد)..

نظر لها بسعادة، وقال :

- يبدو أنها ستكون قصة جميلة جدًا..

قالت لها (صفاء) برجاء :

أريد قصة من الرعب الموروث..

ابتسمت منال قائلة :

- لكي هذا يا حبيبتي..

ثم التقطت نفس عميق، وبدأت الحكاية.

(22)

الماعز الشيطاني

هل تعرف محافظة سوهاج؟

إنها محافظة من محافظات صعيد مصر، محافظة صغيرة لطيفة تُمثل مخزن هائل من مخازن (المصري الأصيل) المُوشك على الانقراض للأسف.. وبالطبع تروّج فيها الحكايات والقصص غير العادية وتجد أذانًا صاغية، وهناك وعلى بُعد أربعة أو خمسة كيلومترات من مدينة (البلينا) توجد قرية صغيرة اسمها (بني حلوة).. نعم اسمها هكذا (بني حلوة)..

وهيَ قرية صغيرة من قُرانا الأصيلة الجميلة ولا شيء يميزها في الحقيقة عن معظم قرى مصر في الشمال والجنوب فيما عدا شيء واحد، شيء صغير أقرب ما يكون لخرافة محلية الصنع منتشرة بشدة، فمن الغريب أن ثلاثة أرباع حوادث السيارات التي تقع على خط (البلينا – جرجا) تحدث أمام مدخل هذه القرية بالضبط..!

بل أن المنطقة نفسها أصبحت مشئومة لدرجة أن راكبي السيارات يُبسملون ويرجون السلامة من الله عندما يجدون أنفسهم بالقُرب من (بني حلوة) ويتمنون الخروج من هناك سالمين، والمشكلة ليست في حوادث السيارات التي تحدث على الخط، فما أكثر الحوادث المماثلة في مصر، ولكن الغريب أن كثيراً

من الناس منهم سائقين وركابٍ عاديين وأناسٍ متعلمين ذوّي شأن يصرّون على أن هناك ماعز أسود غريبٍ الشكلِ يظهر أحياناً فجأة أمام إحدى السيارات المارة بالقربِ من القرية، فيفقد السائق السيطرة عليها ويتصادم مع سيارة أخرى أو يهوي في الترعة المحاذية، والناجون دائمًا قليلون أو لا يوجد ناجون غالباَ..!

المشكلة أن بعض هؤلاء الشهود هم من السائقين الذين تعرضوا لحادث غريبٍ في هذا المكان ونجوا بأعجوبة ليؤكدوا بعدها أنهم شَاهدوا ماعز أسود تنشق عنه الأرض فَجأة ويسير نحو سيارتهم.. وفجأة يفقدون سيطرتهم عليها وتتصادم أو تهوي..!

حكاية ظريفة يتناقلها الناس الطيبون ويصدقونها.. ولكن ليس معنى هذا أنها حقيقية..!

ولا أستطيع أن أحلل الشهادات المتعددة للبعض، ومنهم شهود عيان.. ولكن ربما كان الأمر لا يعدو مجرد إيحاء جماعي أو هذيان أسطوري مما يستهوي الناس في هذه المناطق، قلت لقريبي ذلك ولكي أثبت له كذب هذه الخرافة أعطيته مثالاً بسيطًا وهو أنه هو نفسه يستخدم هذا الخط ويسير بمحاذاة هذه القرية يوميَا، ذهابًا وإياباً ومع ذلك لم يحدث له شيء يذكر. ظللنا نتجادل على هذا النحو نصف ساعة أو أكثر، ثم فجأة صمت قريبي وأشار لي بإصبعه نحو اليمين.. وقال:

- هذه هيَ القرية التي أحدثك عنها.

ونظرت حيث أشار، كانت (بني حلوة) رابضة في الظلام على بعد سنتيمترات من سيارتنا.

ولكن الرحلة مرّت بسلام والحمدلله.. ووصلنا إلى بلدتنا الصغيرة أو بلدة أسرتي الهادئة قرب منتصف الليل، فأنا صعيدي أيضًا أو على الأصح من أصل صعيدي وإن كنت قد ولدت وتربيت في القاهرة ولم أزر بلدة أسرتي في (سوهاج) إلا مرات نادرة، إلا أن هذا لا يمنعني من شرف أن أكون صعيدي أصيل.. وأنه لشرف لو تعلمون عظيم.

في بلدتي وجدت ترحيب وود ودفء لم أتوقعه من أهلي الأصليين، فالحفاوة في كل مكان أنزل فيه، وكلّ من الناس يريدُ أن يستضيفني في بيته، وبقية أقاربي يتعاركون على من يكون لديه العشاء والغداء اليوم حتى وشكوا على أن يجذبوني ويمزقوني بينهم.. إلا أن خرافة (بني حلوة) هذه ظلت تحتل جزء كبير من تفكيري لا أدري لماذا؟

لم تكن زيارتي لبلدتي في (سوهاج) قاصرةٌ على الالتقاء بأقاربي الأصليين الذين لم أراهم إلا مراتِ قليلة جدًا حتى كدت لا أتعرف عليهم أصلاً، ولكنها أفادتنيَ في عملي أيضًا، ومن هناك تمكنت من الحصول على عدد من الموضوعات والتحقيقات الصحفية الشيقة التي سال لها لُعاب رئيس التحرير عندما أرسلتها له عن طريق البريد الالكتروني حتى كاد يطبع قبلاته على شاشة الكمبيوتر لتصلني فيِ رسالة البريد.. المهم أنني قضيت وقتًا طيبًا للغاية وسط أهلي البِسطاء الممتلئين طيبةٌ وأصل، مضت

أيام زيارتي لسوهاج في لمح البصر، ولقد عبرت أمام القرية الملعونة (بني حلوة) ثلاثة آلاف مرة دون أن يحدث لسيارتنا شيء.. بل ولا حتى مجرد نفاد للوقود..!

وجاء يوم الرحيل المنشود، في الحقيقة كان منشودٌ قبل ذلك، أما الآن فقد تمنيت من كل قلبي أن تتاح لي فرصة أكبر للتقرَب أكثر وأكثر من أولئك الناس الطيبين الذين ما زالوا يحتفظون داخلهم بشيء غريب حبيب إلى النفس، شيء غير محدد بالضبط، ولكن لعله بقيةٌ من التراب النقي الذي جُبل منه "آدم" قبل أن تلوث أقدام البشر ومصائبهم تراب الأرض وتربتها وماءها وهواءها.

المهم أنني في ليلة من منتصف شهر يناير والبرد على أشده، وضعت حقيبتي في سيارة ابن عمي (خالد) وقلت له ببساطة:

- إلى مطار مبارك يا حبيبي..

كان مطار مبارك حديث الإنشاء وما زال أعجوبة أن (سوهاج) أخيراَ أصبح لها مطار مثل المدن المهمة المحترمة، وكانت المسافة بين بلدتنا الصغيرة وبين (سوهاج) نحو خمسين كيلومتراَ، وكان من رأي خالد أن أؤجل حجزي إلى الصباح أو إلى يومٍ آخر، ولكنني أصررتِ على الرحيل الليلة لأنني أريد أن أكون في القاهرة صباحًا لأتمكن من تسليم بقية عملي لرئيس التحرير قبل أن تمُر عليه أيام كثيرة وتصبح تقارير (حامضة قديمة).

وهكذا بدأنا رحلتنا على بركة الله.. كانت السيارة تسير بسرعة كبيرة على طريق جيد، ومرت ثلاثة أو أربعة كيلومترات بسلام،

وكنا في هذه اللحظة نمُر بالضبط أمام قرية (بني حلوة).. وفجأة راودني شعور غريب لا أفهم معناه وسقط الكتاب من يدي وشعرت بشيء غريب ينظر لي من يساري، رفعت وجهي فوجدت القرية رابضة إلى جوارنا تماماً، مدخلها الأصلي على يساري، والمدخل الثاني الذي يتكون من كوبري صغير على يميني، وهناك على يميني وجدت نفسي أُحدق مباشرة في وجه ماعز ضخم أسود اللون قبيح ككابوس.. من أين جاء لا أدري؟

سمعت ابن عمي يبسمل بصوت مُرتجف ويردد بذعر:

- سترَك يا رب.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

ولا أذكر ما حدث بالضبط، بل كلّ ما علق بذاكرتي هو صوت ابن عمي المرتجف المذعور والماعز القبيح وهو يتحرك نحونا في هدوء قاتل ويِحدق في وجوهنا بعينيين ناريتين.. لم يستغرق الأمر أكثر من ثانية وفجأة أفلتت عجلة القيادة من يد خالد، ووجدت السيارة تهوي بنا.. تهوي وتهوي في مكان سحيق بلا قرار.

فتحت عيناي بصعوبة فوجدت أسرتي كلها حولي، زوجتي وابني وابنتي وأمي العجوز، ولم يكونوا وحدهم بل أن كل أقاربي من سوهاج كانوا هناك أيضًا، وحتى رئيس التحرير كان موجوداً بجانبي مباشرة.. لم اسأل إلا عن شيء واحد:

- خالد.. ابن عمي، أين هو؟

فوجئت بصمتٍ عميق ونظرة متحسرة في العيون، ففهمت.. لقد مات الشاب المسكين، مات ليكون ضحية أخرى من ضحايا هذا الماعز الشيطاني المخيف.

سألت زوجتي عما حدث، فأخبرتني وهيَ تُغالب دموعها أنهم اتصلوا بها من (سوهاج) وأخبروها أنني عملت حادثة بالسيارة أنا وابن عمي خالد، فهرعت على الفور هي والطفلين وأمي من القاهرة، وعندما وصلوا المستشفى المركزي في البلينا (أقرب مكان للحادث) وجدوا ابن عمي قد فارق الحياة متأثراَ بإصابته البالغة، أما أنا فكنت راقدًا بين الحياة والموت أُعاني من كسورٍ عديدة في الساقين والذراع الأيمن وأحد الضلوع وكذلك ارتجاجٍ في المخ، وأنني رقدت في غيبوبة لمدة خمسة أيام حتى استعدت وعي الآن.

اقترب مني رئيس التحرير وقال لي بتسرع، فقد جاءت الممرضة وطلبت من الزوار كلهم الخروج فوراً لأتمكن من النوم والراحة.. قال لي رئيسي بصوت خافت:

- اسمع يجب أن تخبرني تفاصيل ما حدث لحظة بلحظة، لابدّ أنها كانت حادثة مثيرة، إنها عاشر حادثة تحدث في هذا المكان خلال شهر واحد؟

حدقت في وجه رئيس التحرير عاجزٌ عن النطق.. ماذا أقول له؟

أأقول له أنني أنا الذي كنت أكثر من ينكر فكرة هذه الأسطورة ويرفض تصديقها ويسخر ممن يصدقها قدر لي أن أرى هذا الماعز الشيطاني رأي العين وكأنه يخرج لسانه لي أنا بالذات؟

أأقول له أنني أحمق ومغرور بالباطل وأعتقد أن العلم وحده يجيب على كلّ الاسئلة في الكون ويحل كلّ المشاكل؟

لا لن أقول له شيء ولأحتفظ بهذا السر لنفسي، ولأموت ذُعراَ وحدي ولا أدّع الآخرين يسخرون مني كما كنت أسخر أنا منهم.

ابتلعت ريقي وقلت لرئيسي بصعوبة بالغة:

- لا شيء.. لقد اختلت عجلة القيادة وفقد خالد السيطرة على السيارة، وانحرفت السيارة عن طريقها وهوّت في الترعة، هذا هو كلّ ما حدث.

وعدّت أكرّر مؤكدًا:

- هذا هو كلّ ما حدث.

(ملحوظة) هذه القصة مستندة إلى قصصِ حقيقية معروفة في محافظة سوهاج مصر.

(23)

ابتسمت (صفاء) وقالت :

- شكراَ يا حبيبتي لإجابة طلبي.. لقد كانت قصة جميلة.

بادلتها (منال) الابتسام.

هتف (هيثم) بحماسة جارفة:

- مبدعة كعادتكِ يا (منال)..

ايّده الجميع، وأثنوا عليها، فهمهمت (منال) شاكرة.. أعطت رحاب الأوراق لمنال لتختار التالي لها. سحبت منال أوّل ورقة قابلتها، وكان الاسم المكتوب "رحاب الروبي"

قالت لها (منال) مُشجعة:

- ننتظر قصة جميلة مثلك..

قالت (صفاء) :

- نريد قصة مشرقة..

ضحكت (رحاب) وقالت:

- سأقُص عليكم قصة مشرقة بعنوان شموس.

ضحك الجميع، وبدأت تسرد أحداث قصتها.

(24)

شموس

كنت أنظر إليه بعيني التي تُحاول أن لا تبكي لتظهر قوية، لا أعلم كان يراني أم لا، ولكن ما كنت متأكدة منه في تلك اللّحظة أنني بِتَّ أكرهه.. نعم أكرهه..!

لا أعرف هل يمكن أن يتحوّل الحب إلى كره..؟ كنت لا أعرف ذلك ولكن بِتَّ أعرف أن الحب من الممكن أن يتحوّل إلى كره وحقد، كلّ ما كنت أريده هو الابتعاد، الابتعاد عن كلّ شيء.. لم أكن أعرف أن ما أريد هو الابتعاد نفسي.. بعد أكثر من يومين كنت أقنع فيهما جدتي بأنني أريد أن أبتعد قليلاً، كانت رافضة تماماً، ولكن لم تستطع جدتي إقناعي بأن أبقى هنا.. هنا في ذلك المكان الذي يفكرني به.

كانت عيناها تحضنانِي، لم تستطع أن تتكلم غير أنها قالت لي "ربنا يحفك يا ابنتي"..

تركتها وتركت ذلك البيت الذي كنت أحبه، خرجت منه إلى سيارتي كنت أعرف إلى أين أذهب، إلى ذلك البيت

البعيد، البعيد عن تلك المدينة.. ذلك البيت الذي كنت أريد أن أعيش به معه عندما نشيب معاً.

يالله.. أريد أن أنسى، لا أن أتناسى.. لما أتذكره هكذا دوماً.. لما..؟

بعد القيادة التي أرهقتني.. لم تكن القيادة فقط ولكن التفكير الذي يرهقني، ولكني مع تلك العزلة في ذلك البيت البعيد عن صخب المدينة.. سأنسي. سابدأ كلّ شيء من جديد.. كان ذلك هو ما أتمناه.

كان البيت له حديقة ولكن كانت تحتاج العناية، لم تكن حديقة بل كانت بقايا حديقة.. بعدما أخرجت الحقيبة من السيارة لم أعرف لما وقفت هكذا أمام البيت وكأن هناك شيء يجذبني إلى أرض الحديقة، وقفت هكذا إلى أن أفاقني رنين الهاتف، كانت جدتي تريد الاطمئنان عليّ.. بعد أن طمأنتها وصعدت تلك الدرجتين أمام البيت وفتحت المزلاج الذي كان يصدر صوتاً لا أحبه ويزعجني بشدة، لم يأتي (عم أمين) الذي كنت قد حدثته ليأتي بأحدٍ يساعدني في تنظيف ذلك البيت، وقبل أن أتحدث إليه وجدت بضع الطرقات الخفيفة على الباب فلم يكن الباب مقفولاً جيداً.

التفت لأجد عم أمين معتذراً عن تأخيرهِ، وذلك لأن الطريق مزدحماً وكان مع عم أمين شابة كانت هيَ من ستنظف البيت وترتبه، كان يظهر على تلك الفتاة الإعياء والشحوب معاً، كنت أفكر في كيف أن تلك الفتاة ستنظف البيت ولكن، بعد مرور أكثر من ثلاث ساعات كنت أجلس في الخارج في بقايا تلك الحديقة لأجد تلك الفتاة أمامي ويظهر عليها الإرهاق الشديد

والإعياء والشحوب اللذان كنت أشعر أنهما جزءاً لا يتجزأ من ملامحها، وكان كلّ ملابسها عليها أتربة.

اقترحت على الفتاة أن تبقي معي في البيت لأن الوقت قد تأخر، وكان يظهر عليها الإرهاق وكان عم أمين قد ذهب ليجلب لي بعض الأشياء من المدينة وتأخر، بعد عدة محاولات وافقت تلك الفتاة، فأخرجت لها ملابس من ملابسي لتغير تلك الثياب المملوءة بالأتربة.. وبالفعل ذهبت الفتاة لتغير تلك الملابس، كنت قد رتبت كلّ شيء بغرفتي وأصبح البيت جميلٌ حقاً بعد كلّ التنظيف.

كنت في ذلك الوقت أشعر بالجوع، خرجت إلى المطبخ لأجهز بعض الطعام السريع، وبالفعل جهزت كلّ شيء لأجد تلك الفتاة واقفة أمامي تشكرني لأني جعلتها تمكث معي، فالوقت كان قد تأخر فبعد محاولات عديدة وافقت تلك الفتاة على أن تجلس وتأكل معي.. "لقد تأخر عم أمين" هكذا قالت الفتاة.

- نعم تأخر.. لا أدري لما تأخر هكذا وهاتفه مغلق، لم اعرف اسمك إلى الآن..!

- شموس.. اسمي شموس.

- ياله من اسم غريب، ولكنني أحببته.

- إنكِ أيضاً لم تعرفي اسمي إلى الآن، اسمي دُرة.. ما رأيك بكوبٍ منَ الشاي ونجلس لنتحدث؟

- ولكن...

- ولكن ماذا هل تريدين النوم؟

- لا لا أريد.. ولكن هذا كثيراً عليّ، يكفي أنني سأبيت هنا.

- لا تقولي هذا، وشكراً لكي لموافقتك بالمبيت معي، فهذا أول يوم لي هنا ولم أعتاد المبيت وحدي.

ابتسمت الفتاة وطلبت مني أن تُحضر هيَ الشاي.. كنت أجلس في الدور الأول من البيت، البيت المكون من طابقين طابق أرضي به المطبخ والسفرة والصالون والطابق العلوي به غرف النوم.. كنت أشعر برهبة، أحاول أن لا تبدو عليّ فالمنزل كبيراً بالنسبةِ لي.

ولكن هذا هو تحدِ ويجب أن لا أتراجع، أريد أن أبتعد أريد أن ابدأ من جديد.

قطع تفكيري حديث شموس، قد انتفضّت لأنني كنت أفكر.. اعتذرت لي.

كنت أشعر شعوراً غريباً تجاه تلك الفتاة، لم أكن أعلم ما هذا الشعور.. جلسنا نتحدث، لم أعرف كيف؟ كيف كنت أحكي عن حياتي؟ وكأنني أعرف تلك الفتاة من قبل.

حدثتِها عن حياتي وعن جدتي المتبقية لي بعد أن ماتَ أبواي، وأن هيَ مَن قامت بتربيتي، كنت أحكي عن زوجي، زوجي الذي ابتعد عني لأنني لا أنجب أطفالاً، بعد كلّ هذا الحب يتركني لشيء ليس بيدي.

كنت أبكي، أبكي بعد أن كنت أحاول أن أظهر قوية.. ولكن ربتت على كتفي قائلة:

- لا عليكِ.. الأهم أنكِ بخير، ولا تهتمي بأي شيء آخر.

لم أعرف لما كنت أشعر بأن هذا الرد اعتياديّ.. ولا أعلم لما أشعر بذلك الدوار، أشعر أنني مرهقة حقاً، لم أشعر بأي شيء غير ذلك الصداع، أهذا كله من الإرهاق؟

استيقظت في اليوم التالي وأنا أشعر بالإرهاق الشديد، كنت على (كنبة) الصالون، لأجد شموس واقفة أمامي تبسم ابتسامة غريبة قائلة:

- صباح الخير سيدتي.. هل نمتِ جيداً؟

- نعم.. ولكني أشعر بالصداع.

- لم أريد إزعاجكِ فتركتك تنامين هنا لأنك كنتِ مرهقة.. أحضرت لك الفطور، ولقد اتصل عم أمين واعتذر على عدم مجيئه، لقد مرَضَت ابنته وهو في المستشفي الآن، وأرسل قريبه في الصباح أحضر ما كنتِ تريدينه من المدينة.

- سأكلمه لأطمئن على ابنته.. ولكن أريد أن أتناول كوب من الشاي ومسكن لذلك الصداع اللعين.

- لا عليكِ.. ستكونين بخير بينما تتناولين فطورك سأعد لكي كوبٌ من الشاَي.

كنا نجلس نتناول الفطور وذلك الصداع اللعين لم يتركني، وجدت شموس تنظر إليّ وكأنها تريد قول شيء، قلت لها:

- ما بكِ؟ أهناك ما تردين قوله؟

- أجل.. ولكن..

- ولكن ماذا؟

- ولكني خجلة.

- أتحتاجين أموالاً أكثر؟ أعرف أنكِ أُرهقتي من تنظيف البيت.

قاطعتني قائلة:

- لا.. أريد أن أخبرك شيئاً، أريد أن أبقى هنا معك، سأنظف وأساعدك ولا أريد أموالا أريد أن تُبقيني هنا لا أكثر.

- ولكنّ أهلك يعرفون أنكِ ستبقي هنا؟ أهم موافقين على ذلك؟

- هذا ما كنت أريد أن أخبرك به، أهلي يريدون أن يزوجني وأنا لا أريد أن أتزوج.. تركت البيت هرباَ وقابلت عم أمين الرجل الطيب، هو لا يعرف شيئاً، كنت أبحث عن عمل، وكان يجلس في محله، وكان يظهر عليّ الإعياء فأطعمني وجلبني هنا لأنظف.

- ولكن كيف يزوجونكِ وأنتي لا تريدين، وأيضاً إنكِ لازلتِ صغيرة.

كانت تبكي طمأنتها وقلت لها إنني سأساعدها وأقف معها ضد هذا الزواج.. بعد الفطور طمأنت جدتي عليّ وجلست مع شموس نشرب الشاي ولكن ذلك الصداع لا نهاية له.. مرّ يومين لا جديد فيهما غير أن ذلك الصداع لا ينتهي مع الشعور بالإعياء، رغم تناولي الطعام جيداً ولكني أشعر بالإعياء، ولم يتبقى من المسكن شيء ولا يوجد هنا أي طبيب قريب، فالبيت بعيداً عن المدينة ولم أريد أن أقلق جدتي فلم أقول لها شيء.

حتى عم أمين هاتفه مغلق، لا أدري ماذا أفعل..

وذات يوم كنت أنظر إلى المرآة، لم أصدق تلك الصورة انعكست في المرآة.. ما هذا كلّ الشحوب.. ما هذا..

لم أتمالك نفسي، لم أستطع الوقوف، بعد ذلك استيقظت لأجد نفسي في الردهة الواسعة للمنزل في الطابق الأول، كانت تجلس أمامي، لم أعرف.. هل أني أصبحت لا أري جيدًا وهذا من الإعياء؟ أم ماذا؟ لما هكذا مشرقة ويبدو عليها الإشراق؟

كيف هذا بعد كلّ ما كانت عليه من شحوب وإعياء؟ ولكن ما تلك الأضواء الخافتة؟ وما هذه الملابس الغريبة التي تلبسها.

- ما هذا يا شموس؟

كانت تضحك ضحكة غريبة قائلة:

- ما هذا..! أبعد كلّ هذا تتساءلين؟!

لم أكن أعرف هل هذا من إرهاقي فأنني لم أعد أركز؟ أم ماذا؟

كانت تضحك وتضحك ولا أفهم شيئاً.

- هل تعرفين أن الكلّ يستغلّك؟ كلّ من في حياتك.. زوجك الذي تركك بعد معرفته بأنك لا تُنجبين، بعدما كنت تتحملين من أجله كلّ شيء، وغيره كما كنت تحكي لي كلّ يوم ولا تعرفين أيضاً أنني استغلتك ولكن استغلال من نوعٍ آخر.

- استغليتني؟ ما الذي تقولينه يا شموس؟ ما كلّ هذا الهراء؟

- لا.. ليس هراء بل حقيقة، كلّ يوم كنت تفقدين قوتك، كلّ يوم تفقدين جمالك، كلّ يوم كنتُ أبحث عنك كثيراً، قابلت الكثير ولكن لم تكن تتوافر الشروط، أما فأنتي كَنزٌ حقاً، كنت أبحث وكان عم أمين الذي لم يكن يعرف أنني في كلّ عمل أقوم به في بيتِ من البيوت أبحث، ويا لسعادتي عندما وجدتك فأنتي لا تنجبين وزوجكِ تركك، وأهلكِ في العالم الآخر.. أنتِ كَنزٌ في ذلك البيت البعيد.

كانت تضحك، كنت لا أفهم ما تقوله، كنت غاضبة

- ما هذا الهراء؟ ما الذي تتحدثين عنه؟

كانت تضحك أكثر قائلة:

- أنتي قرباني.. ألم تفهمي بعد؟ ما كلّ الإعياء الذي تشعرين به، ألم ترين ذلك الشحوب لقد أخذت جمالك ، نعم جمالك وقوتك، لقد كنت ساحرة جميلة وقوية، كنت أكبر ساحرة في عالمنا، ولكن ذلك البغيض الذي أخذ مني كلّ قوتي وجمالي عن طريق التعاويذ السوداء، أخذها ليهديها لحبيبته البشرية مثلك، أخذ جمالي وأخذ قوتي، فكان يجب أن يكون هناك أكثر من قربان.. وبالفعل كنت قد جمعت القرابين ولكن كان يتبقي فتاة، فتاة مثلك جميلة وقوية، ليعود لي جمالي، لم يبقي هناك الكثير فذلك المشروب التي كنت تتناوليه كلّ يوم لمدة ستة أيام ما كان إلا سحراً، بتعاويذ خاصةَ جدًا.

كانت تضحك وكنت أبكي..

- لما يحدث لي كلّ هذا؟

- لا يهُم.. الأهم هو أنه بقيت تعويذة أخيرة لأعود من جديد، لتكون بدايتي من هنا، من ذلك البيت الذِي كنتِ تريدين به أن تبدئين فيه حياة أخرى، ولكن شموس هيَ من ستَبدأ.

لم أكن أستطيع فعل شيء، وهيَ تستمر في الضحك، كانت هناك دائرة على أرضية الردهة، لا أعرف ما هذه الرسوم بداخلها، كانت تتحدث بكلامٍ غير مفهوم، كنت أشعر بالعرق يتصبب غزيراً مع كلّ ما كانت تقوله، كنت أشعر بأن هناك شيء يوخزني، أشعر بالإعياء، أشعر أنني لم أعد أستطيع التنفس.

ومع ضحكة كبيرة، كنت أشعر أنني لا أرى شيئاً.. هذا ما قرأتهِ في دفتر تلك المريضة التي كنت أريد أن أعرف دوماً لما هيَ هكذا تجلس بعيداً وتغطي وجهها كله..

كنت الطبيبة النفسية الجديدة في تلك المستشفي، لمْ أعرف لمَّ كنت أشعر بصدقِ كلامها على الرغم من أنه جنون، ولكن كنت أريد أن أقترب منها أكثر.

وبالفعل في يوم ذهبت إلى حجرتها البعيدة عن باقي المرضى، كان الجميع يخشاها، فاقتربت منها وقلت لها معتذرةً أن ذلك الدفتر أصبح بيدي عن طريق الصدفة، لم تهتم هيَ ولمْ ترد عليّ، فقلت لها:

- أريد أن أعرف باقي القصة، أريد أن أعرف ما حدث..

- كانت تكتب لي كأنها تحادثني

- لمَّ..؟ لتتأكدي من جنوني؟

قلت لها بأنني أصدقها.. اقتربت وكنت أربت على يدها، لقد نسيت أن أخبركم، دُرة الآن أصبحت قعيدة، بالإضافة إلى أنها لا تتكلم، نعم كانت تكتب! أصبحت لا تتحدث فكتبت لي ما تبقي من تلك القصة المفزعة التي لا تعرف ما الذي حدث بعد ذلك غير أن عم أمين قد وجدها في ردهة البيت ومعالم الفزع على وجهها، وجهها الذي أصبح قبيحاً للغاية ومن بعد ذلك لم تعد تتحرك ولا تتكلم ولا أحد يصدق ما تقوله، والجميع اتهمها بالجنون، وجدتها قد توفت من بعد تلك الحادثة، من بعد أن رأت درة هكذا.

لا تدري دُرة.. لماذا كلّ من يري وجهها يموت؟ كانت تكتب لي أن من بعد تلك الحاثة أصبحت تخفي وجِهها وأن من يري ذلك الوجه يموت بعد ستة أيام، لا تدري.. أهيَ تعويذة شموس؟

لا تدري.. ولكن ستة أيام هل؟! ما هذا الهراء إنني رأيتها، رأيت درة التي لا تعرف أنني رأيتها في ذلك اليوم الذي دخلت فيه إلى تلك الحجرة، قد رأيت وجهها، كفى هراء.. هل رؤيتي لوجهها حتى وإن كان أبشع ما رأيت يقتلني؟

صرخت الممرضة قائلة:

- يا دكتور.. يا دكتور.. دكتورة ماجدة ماتت في مكتبها.

- كيف؟

- لا أعرف.. لا أعرف يا دكتور.

(25)

قالت (أسماء) مازحة:

- قصة دافئة يا (رحاب)..

قالت صفاء بمرح:

- قصة مشرقة يا (رحاب)..

ضج المكان بضحكاتهم الصافية.

انتبه الجميع لانخفاض سرعة القطار المفاجئة، وتوقفه التام في لحظات قليلة على غير المتوقع.. تظاهر الجميع بالهدوء، وادعوا أن توقفه ما هو إلا وصله إلى إحدى المحطات، غير أن مُلاحظ القطار أجاب (عمرو) الذي ذهب ليستفسر عن سبب التوقف الغير مبرر بأن القطار قد تعطل، وأنهم في انتظار ما يقطرهم لأقرب محطة.. حل التشاؤم في نفوس الجميع بعدما أخبرهم (عمرو) بما قاله المُلاحظ.

غير أن (صفاء) قرّرت طرده قبل أن يتملك قلوبهم، فقالت بهدوء:

- لا داعي لهذا الوجوم.. دعونا نقطع الوقت بإكمال اللعبة والتي بدت لي وكأنها مسابقة تنافسية فيما بيننا، أعطيني يا (منال) الأوراق..

هتف (إبراهيم وهبي) مستنكرَا:

- ما هذا هل سنكمل اللعب، ونحن في تلك الكارثة؟

رد (محمود الجعيدي) بهدوء:

- هل نستطيع قطر القطار؟ أو إصلاحه؟ اخبر عقلك ليس أمامنا سوى الانتظار، ونحن نحاول جعله غير ملل..

حاول (إبراهيم) أن يُعقِّب، فقاطعه (مروان):

- لا داعي لأي كلام.. فلنكمل المسابقة..

صمت (إبراهيم) على مضض.

نظرت (صفاء) إلى الأوراق وقالت :

- نأمل أن يتحرك القطار قبل نهاية المسابقة فلم يعد هناك سوى أربع ورقات..

سحبت أحدهما وقرأت الاسم بحماس مبالغ فيه:

- (هيثم مصطفى)..

نظر لها (هيثم) بجزع وقال:

- كلا.. ليس الآن..

زفرت (صفاء) بغيظ، فأردف:

- إنني لم أكن كاتب رعب يومًا.. ستكون قصة سمجة..

قالت له منال مُشجعة:

- كلا بالطبع.. هيثم أنت كاتب مميز.. هيّا كلنا بانتظارك..

نظر إلى صفاء بقلق، فهتفت:

- هيثم إنها لُعبة.. اعتبرها ورشة كتابة، فلتجرب لمَّ الخوف؟ إننا نسري عن أنفسنا ليس إلا..

قال هيثم باستسلام:

- لقد أنذرتكم.. لا تلوموني إن لم تعجبكم..

ومن ثم بدأ يحكي قصته..

(26)

الشريد

لا أدرى كيف بدأ كلّ هذا؟ لن أكذب لو قلت لكم أن الأمر كان مُربكًا بحق.. خصوصًا حينما تعُود لوعيكَ فتجد نفسكَ عارياً ومعلقًا من كاحليكَ بجنزيرٍ صدئ وسط غرفة مظلمة، والأدهى لو أنك كنت مغيباً عن العالم بذلك الكيس المصنوع من الخيش والذي غلف رأسك ليزكم أنفك بروائح أنفاس من ارتدوه من قبلك، هذا لو أضفنا رائحة الدماء المتخثرة والروائح العضوية الأخرى لذلك المكان البارد الذي كنت فيه.. كنت أتأرجح وذراعيّ متدليان لأسفل وممتدتين ويؤلماني بشدة، ونبضات الدم تضرب رأسي فأوشك على القيء من شدة الدوار، سجين مقيد أعمى ولا أقوى على أن أعتدل أو أن أحل وضعي.

لن أنكر شعوري بالخوف الشديد خصوصًا حينما انتفض جسدي بعدما شعرت بطنين تلك الحشرة الثقيلة والهواء المصحوب برفرفة أجنحتها الكبيرة وهيَ تحوم حول ظهري قبل أن تحط على بدني بأقدامها العديدة المشعرة، كلّ هذا جعل جسدي يتخشب من احتمالية أن تكون سامة اللدغات، كنت أشعر بشيء من التنميل ينتابني حينما بدأت بالسير فوق جلدي لتبدأ في أن تقتات على حبات عرقي السائلة بغزارة فوق بدني، ذلك العرق الذي اختلط بدمى المتجلط من أكثر من جرحٍ مندمل ليصنع

مزيجًا من المعاناة، عرق ودماء والمجهول هو السبب مثلما كان هو المنتظر.

كانت السلاسل تصر في اهتزاز جسدي مثلما كانت تئن مثيلاتها لمن أعتقد أنه قد عُلق مثلي، فالذي جعلني أوّقِن هو سماعي أصوات قريبة وبعيدة لَمن حولي من سعال مُتشنج، وبكاء مُختنق.

يا الله.. هكذا ردّدت في سرى خصوصًا لما سمعت أصوات مكتومة من خلف الجدران تتبدى لأسماعنا عن زمجرات وصيحات متوسلة غير مفهومة، ليعلو صوت آلة تقطيع كهربية مصحوباً بصوت تمزق للحم، فيتناهى لنا صوت تساقط الدماء والأحشاء.. كنت أسمع عويل ونحيب من حولي، كلهم للأسف ضحايا مثلي.. هكذا فكرت، وهكذا بدأت أقوم بعملية تنشيط حواسي، فما هو قادم لن يكون بالطيب بالنسبة لي، فرفعت يدي المتيبسة نحو رأسي في صعوبة جعلت عضلات أكتافي ومرفقي يصرخان ألمًا، فألقيت بهما علَّ ألامي تكف عن تعذيبي بصرخاتها، لكني عاودت الكرة فأرفعها صوب الحشرة التي زحفت حتى باطن فخذي فألتقطها بسرعة متغلباَ عما بنفسي من تقزز وخوف فأشعر بها بين أصابعي مشعرة منتفخة ذات أرجُل عديدة، كانت تنتفض وتتلوى تريد أن تثقب جلد أصابعي بزنارها الذي أشعر أنه سيكون بطبيعة الحال ضاراً جدًا، فما كان مني إلا أن ألقيها لأسمع صوت ارتطامها المكتوم بأرض المكان الذي شعرت من صوت الارتطام بأنه قد تكون تلك الأرض معدنيّة.

مرّت لحظات كنت أحاول أن أستجمع فيها شتات نفسي حينما سمعت صوت انفتاح بابٍ معدني ليصحبه هبوب نسمات باردة مصحوبة بنباح كلبٍ شرس يريد الدخول علينا فاقشعر بدني وتشتت عقلي بالضوء الساطع الذي اخترق قناعي فشوش ذهني المرتبك في ضوضاء ظلمته، سمعت انتفاضات بدنية لمن هم تماثلوا في وضعي وقد انبعثت منهم الشهقات والأنَّات.. لكن وسط كلّ هذا كنت أشعر بحضور من فتح الباب.. نعم!

كان لهِ حضوراً جاثمًا مهيبَا ساحبَا للدفء باعثًا للخوف والترقب، خصوصًا حينما ضرب كلبه ليسكته، ثم أطال في وقفته ومن حينٍ لآخر كنت أسمع رنين سلسلة المفاتيح في حزامه كلما كان يعتدل في وقفته ليجيل النظر فينا.

ستتساءلون كيف عرفت وأنا مُقيد مقلوب الحال.. معصوب العينين؟ أجيب بأن حواسك الأخرى أسفل وقع الخوف تنشط وتعوضك عما فقدته أو تغيب عن وظيفته، بل وتتبدى وتمتد لتشمل مدى أقوى من قدرتها العادية.

شعرت بخطواته الثقيلة وهو يخطو بصوت دفين يضرب حواسك، صوت تشعر معه بأن لصاحبه وزنًا وثقلًا لَا يُستهان بهما إطلاقًا.. خطوات من يشعر بالثقة، وأن يده هيَ الأعلى هنا، شعرت بحضوره الثقيل وهو يمر بالقرب منِّي، فوقف خلف بدني المعلق قبل أن يسير خطوات قليلة ثم يعاود الاقتراب مني، ثم شعرت به يوخز ظهري بنصلٍ رفيع بارد جعلني أتأوه متأرجحًا للأمام في قوة، فيرتد جسدي قافلاً في انتفاضته لأشعر بأنفاسه الثقيلة

والعميقة وهيَ تُرتطم ببدني، وزمجرة حلقية غريبة تؤكد لي بأنني أمام شخصٍّ ليس من بني البشر.. كانت تلك الفكرة كفيلة بأن تشل تفكيري كلّه، بل وتجعلني أوشك أن أتقيأ، فأين المفر من مثل هذا الكيان الغير مفهومٍّ له لغة، بل وازداد رعبي أكثر حينما شعرت بالنصل البارد وهو يعاود وخز جانب بدني فأُطلق على أثر ذلك صرخاتي المُلتاعة، فالرعب قد نال مني كلّ منال، فأخذت أصرخ وأتوسل، وصوتي يتردد صداه لينعكس بالسلب على من حولي ممن يبدو عليهم وكأنهم قد شاركوني في حالتي المزرية، فلقد كان الكلّ يعاني.

لكن معاناتي كانت أقسى، يبدو لي أن ذلك الوغد السادي لم يكن مكتفياَ بتعذيبي، بل كان يسعى لإيلامي لأقصى حد، فوخزاته العديدة كانت تلقى في نفسه السرور فتجعله يصدر همهمات تبدو منتشية جدًا، حتى حاولت التملص بالاهتزاز بقوة، لكنه بادر بأن ناول جانب بدني ضربة بالسكين شقت الجلد وأطلقت صرخات ألمي من عقالها داخل رأسه، فأطلقت الصرخات المتألمة والمرتعبة وأنا أشعر بالدماء تتفجر من موضع الضربة لتنساب نحو رأسي، كان الوغد يتعامل مع جسدي وكأنني ذبيحة يفعل بها ما يشاء، كان يفزعني بضجيجه الدال على استمتاعه، كنت خائفًا بحق والبرودة والخدر يحتلان كلّ عضلة في جسدي الذي تخدر بشدة، فلقد كاد قلبي يتوقف أكثر من مرة بسبب الهلع الشديد الذي شلَّ أعصابي.

وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد بل زاد حينما أطبق بفمهِ الكبير فوق جرحي لأشعر بتلك الممصات اللزجة بشفتيه وهيَ تلتصق بجلدي ليبدأ في امتصاص دمى في شراهة واضحة.

أطلقت الشهقات مرتجفًا وأنا أنتفض مقاومًا ما يقوم به، وتدافعت رغم قيدي المعدني الذي مزق جلد كاحلي ليدميه محاولاً أن أزود عن نفسي شر ما يفعل، والحق أنني كنت أعانى برعبٍ شديد، إذ كان اللَّعين يستبيح دمي شرابًا له.

أطلقت الصرخات المتوسلة دون جدوى.. توسلت وتألمت، لكنه كان لاِ ينفك يمتص وكأنني زجاجة شراب يستلذ بالرشف منها منتشيًا.. سحقًا لذلك الشيء اللعين، فأنا كنت على شفى الموت، أو دونه لو جاز لي، وكلما كنت أقاومه كنت أجد أصابعه الغليظة تتشبث أقوى بجسدي بشكلٍ جعلني لا أقوى على المقاومة، حتى شعرت بالدوار وهو يغلف رأسي فسقطّت مغشًيا بلا أملٍ في أن أنجو.

ولم أدرى كم من الوقت قد غفوت! حقًا لم أدرى سوى بأنني سقيم، وأعانى بشدة، لكنّي حينما صحوت من غفوتي وجدت نفسي مقيدًا ومشدود الأطراف فوق منضدة تشريح وقد شد وثاقي حول معصمي وكاحلي المتسلخان من قيودي السابقة لأرى الضوء الباهر وهو ينصب فوق وجهي حارقًا عيناي من ذلك الكشاف الزئبقي القديم المعلق فوق منضدتي الباردة!

كنت لا أدرى ماذا حدث لي بعدما امتص هذا الكائن قدراً من دمى، صدقوني! فالأمر قد يبدو لك بالبسيط لكنه حقًا مرغباَ لي! ومرعباَ بالتأكيد لكلّ من تعايشوا تلك الأجواء.

شعرت بالدوار الشديد، إذ كانت تلك المتلازمة الكابوسية التي أحياها كفيلة بأن تقضى على تماماً، فلقد كنت محطماً نفسيا وبدنياَ بحق.. تلفتّ محاولاً الحركة لأجد جسدي يئن مما أنا فيه من معاناة. خصوصًا في نفس موضع الجرح الذي أُصبت به والذي تم تقطيبه بشكلٍ بدائي مؤلم.

وهالني ما رأيته!

كنت داخل قاعة فسيحة تبدو كمشرحة عملاقة قديمة متهالكة وقد تغطت حوائطها وأرضياتها بالقيشاني الأبيض والأسود، وترامت بها المناضد والمحامل المعدنية البالية، وكذلك الستائر البلاستيكية المتسخة بالدماء والفضلات، وبها عشرات من المناضد التي تم رصها سوياً داخل المكان.

كانت القاعة باردة ومليئة بالمصابيح الزئبقية – التي كانت بعضهم ترتعش إضاءتها - فوق كلّ منضدة، وهناك العديد من الذين تمدّدوا فوق تلك المناضد ومقيدين مثلي، منهم مَن استيقظ فأخذ يتلو مطلقًا الصرخات، ومنهم من بقى نائمًا، كما كانت هناك مناضد أخرى تخلو من البشر.

كان البرد شديدًا، وجسدي عارياً إلا من غطاء بلاستيكي أزرق قذر وعليه بقع من الدماء المتجلطة أحاط بخصري مدارياً سوءتي.

كان ملمس هذا الغطاء يثير اشمئزازي بقدر ما كان يثير خوفي، وبالأخص حينما لمحت تلك المنضدة المعدنية الصدئة ذات العجل التي جاورت منضدتي وقد رصت عليها أدوات تشريح كلاسيكية غير نظيفة وبها دماء طازجة مما أعطاني فكرة عما يمكن أن يحدث لي.

أي مجنون هذا الذي وضعني في هذا المكان؟

هكذا كنت أحاول أن أتساءل وأنا أحاول أن أستجمع شتات قوتى!

فحاولت أن انفض عن رأسي تلك المعاناة ليصفو ذهني، فقبعت أطرق رأسي فوق المنضدة في بطء متوتراَ،كانوا قد حلقوا رأسي تماماً، تباً لهم.. مرّت لحظات دارت عيناي فيهما لتكشفان القاعة الشبيهة بالمشرحة القديمة، كنت أبحث عن الخلاص، وأتمنى لو أن أجده، خصوصًا داخل مثل هذا المكان المرعب، مرّت لحظات حتى تناهى لإسماعي أصوات خطوات لتلك الكيانات العملاقة التي تلحفت بعباءات سوداء فضفاضة بها أغطية رأس غطت وجوههم ليدلفوا من بابٍ مصفح زى صرير ممزق للأعصاب كان في أقصى القاعة ليتوافدون حولنا، فيبدأون في الانتشار بحضورهم القوي وخطواتهم الثقيلة في سرعة تثير الدهشة، فرغم سرعتهم كنت لتتعجب من هدوئهم الواضح، هدوء من يعلم كيف يتصرف، وجدت اثنان منهما يقفان على جانبي منضدتي وقد أخذت زمجرات خافتة تصدر منهما، كنت قد أيقنت بأنني هالك لا محالة، خصوصًا حينما انكشفت أكمامهما عن أياديهم ذات

الجلد الخشن الغليظ والمهترئ، كانت تلك الأيادي تزحف فوق جسدي المتصبب عرقًا رغم البرودة، لن أنسى ملمس تلك الأيادي فوق بدني إذ كانت كملمس أياديٍ الغوريلات في خشونتها لو كنت قد سبق لك مصافحتها يومًا، نظرت نحو وجوههم من أسفل أغطية الرأس، فرأيت عيونًا كالجمرات الحمراء العديدة المتباينة في أحجامها في وجوه كلاً منهما متناثرة فوق المساحة المظلمة والمفترض أن تكون لوجوههم، والمرعب في الأمر أنها كانت تنغلق وتنفتح في تتابعات عشوائية بشكلٍ يجعلك تنتفض من تلك الحركات المضطربة للجفون في حركتها.

فتصلب الشعر واقفًا فوق ذراعي وأكتافي وظهري.

كانت منظر تلك العيون كفيلة بأن تقذف الرعب داخلي، لا بل في قلب كلّ من يجرؤ على أن ينظر لتلك الوجوه، سمعت من بدا كزعيمهم وهو يطلق زمجرات مخيفة لتنطلق منه حشرجات متتابعة وكأنها لغة ما، ثم كشف غطاء الرأس لأرى أرعب منظر يمكن لبشرى أن يراه، كان الزعيم يمتلك رأسًا لا يمت للبشر بصلة، بل كانت رأسًا تشبه رأس الأفاعي بشكلٍ مقزز، خصوصاً بالشعر المنساب من فوق رأسه المفلطحة حول وجهه عديد الأعين والمبتل بالسوائل المخاطية التي كانت لا تنفك تسيل من فوق مسامه، وليظهر فمه ذو الشفاه المليئة بالممصات التي كانت لا تنفك تتحرك وكأن لها إرادتها العصبية المنفردة لتأخذ في الفتح والانغلاق في تتابع عصبي غير مألوف، ومن خلف الشفاه ظهرت صفوف من الأسنان الحادة والمتباينة في أحجامها وأشكالها لتبدو كالسكاكين الحادة، وفي المنتصف كان لسانه يخرج ويدخل في

حركات مضطربة كديدن أي زاحف، ارتعبت من تمدد فكه الذي ظهرت منه زوائد كانت ترتعش وتتشنج.

يا رب السماوات.

أتراني قد دلفت للجحيم بأقدامي؟

أين المفر لي وسط تلك الغيلان التي لم تتأخر في أن تحذو حذو زعيمهم ليبدؤا في خلع أغطية رؤوسهم لتظهر رؤوسهم ووجوههم، أتراهم يعدونا كوليمة كبرى لهم؟

لست أدرى! حقًا لست أدرى!

رأيته يقترب من منضدة رقدت فوقها فتاة كانت تقاوم بمنتهى الشراسة وتطلق الصرِخات الشديدة لتمنع أي أحد من الاقتراب منها، كنت أراها وهيَ تطلق الصرخات وتستنجد، بل وتستغيث، لم أعي كلماتها لأنها كانت من لغة غريبة الوقع على أذني، ضحية، تعسة، بائسة.

لا حيلة ولا مفر لها والزعيم يعتلى بجسده الضخم تلك المنضدة ليشل حركتها بجسده فلا يتبقى غير رأسها الذي أخذت تهزها بجنونٍ، لكنى لمحت لذراعه القوية المشعرة ذات الزوائد المسننة وهيَ تمتد وتخرج من كم ثوبهِ لتقبض رأسها بقوة ألجمتها، فأخذت تطلق الصرخات خصوصًا حينما دنا بوجهه الذي كان فكهِ قد تمدد وأخذ يرتعش محاولًا أن يِحيط وجهها، كانت تصرخ وهيَ ترى تلك الديدان الصغيرة وهيَ تتساقط من ذلك الفم

الواسع الذي سال منه اللعاب الأخضر اللزج، ولم يطل الوقت حتى كانت ممصاته قد تحركت لتقبض على فكها لتجبرها على فتح فمها وفتحه عنوة، في الوقت الذي كانت صرخاتها قد أخذت طابع متباكي محتضر، وعلى غفلة انطلق ذلك الكائن الثعباني، الدودي، اللزج من فم الزعيم ليندس في فم الفتاة الذي كان يتسع عنوة بفعل الدفع المستمر لذلك الكائن المنضغط بقوته عبر حلق الفتاة الذي تمزق وتناثر منه الدماء لتتسع عينا الفتاة مطلقة أصوات مكتومة متحشرجة ذات بعد متألم، لتصحبها انتفاضة جسدها والتي لم تكن سوى ردة فعلٍ عنيف لما يحدث لها، فيبدو أن الزعيم أو الزعيمة قد قذفت بالجنين، كي يحل داخل بدن الضحية فيتغذى عليها، الأمر الذي شعرت فيه بأننا قد صرنا غذاءَ لتلك الوحوش، كنت أراقب كلّ هذا وقد ألجم الرعب لساني، فقبعت ساكنًا، منتظراَ أن يأتي دوري، خصوصًا حينما وجدت جسد الفتاة ينتفض انتفاضات أخيرة ليسكن جسدها مسلمة الروح، ليبدو وكأن الجنين قد نال وجبته، لكن بعد دقائق وجدت الفتاة قد بدأت تنتفض من جديد انتفاضات غير منطقية، وكأنما قد دبت فيها روحٌ مستقلة.

اتسعت عيناي حينما وجدت الشقوق قد ظهرت في وجهها الذي انتفخ، واحتقن، ارتعبت حينما انفجر ذلك الوجه ليظهر خلفه رأس الجنين الذي بدا شبيهاً برؤوس أقرانه.

كانت تلك عملية إحلال لأجسادنا بأجنتهم!

رباه! كم يبدو لي الأمر مرعبًا! فدراستي للطب في (جامعة كامبريدج) قد أتاحت لي الفهم المعملي لما قد تفعله بعض الكائنات والأجناس للاستمرار، ابتلعت ريقي في صعوبة! ملاحظة متأخرة، لكنها قد تكون هامة.

كنت أرقب رفيقاي اللذان كانا يرقبان الزعيم أو الزعيمة، أيًا كان! كنت أنتظر حركتهما نحوي، إذ كان هذا يبدو كدرسًا عمليًا معمليًا لهما، ويا للعجب حينما وجدت من كان يقف على يميني يمدّ يده في طيات ثوبه ليخرج قضيبًا مسنونًا بزوائد حادة ليدفعه في صدر زميله طاعنًا إياه ليبدأ ذلك السلاح في الدوران في سرعة جعلت السنون تدور وتمزق صدر زميله الذي أطلق صرخات متألمة والدماء والسوائل اللزجة تتناثر في كلّ مكان! قبل أن يعوى منتفضًا ليرتمي فوق جسدي الذي تبلل بدمه الأسود وسائله اللزجة، نظرت لوجه الوحش القاتل فوجدته يلتفت لزملائه في الغرفة مطلقًا فحيحًا مزمجرًا حينما كشف رأسه لتظهر رأسٌ صلعاء خالية من الشعر، لكن ذات رسمه غريبة لمفتاح الحياة الفرعوني! وحينما التفت له بقية من بالقاعة لم أدرى بما حدث، لأن ما حدث كان يفوق المنطق البشرى، فلقد كانت سرعاتهم عالية، بشكلٍ عجزت عن أن أتابعه، لكن ما شعرت به هو أنه بشكلٍ ما تمكن من حملي ليندفع بي عبر سراديب حجرية مظلمة ووعرة بسرعة مهولة، وقد تعالت الصرخات والزمجرات من خلفي ومن حولي، وفي في أثناء هذا كنت أشعر بصوته يتردد في جنبات رأسي.

- لن أطيل عليك، فلحظات عمري معدودة، أنا آخر من تبقى من عرقي الأسمى داخل جنسنا! عرق رفض أن يظهر على السطح منذ 35 مليون عامًا حينما حكم جدودنا الأرض، في عصور سميتموها بالعصور الوسطى في عمر الأرض، كالعصر الطباشيري والجوراسي وخلافها، إلا أننا قد حكمنا الأرض لأكثر من مائة وستون مليون سنة بتقويمكم. وحينما حدثت الكوارث والتغيرات الأرضية قررنا أن نعتزل تحت الأرض. لكن بعد حدوث تطوراتنا اكتشفت أعراقٌ منا كيف يمكن أن نحل داخلكم لنحكمك. وهناك من نجح وصعد للسطح كي يحيا وسطكم. بل واستمر الأمر لأبعد من هذا، حينما صار البعض منهم شخصيات عامة، على أن يعملوا على خطف المهملين منكم لصنع جيوشًا قد تحكمكم يومًا ما! وكنت أعارضهم أنا وعرقي، فقاموا بإفنائنا ولم يبقى سواي، ولهذا أنقل لك الرسالة قبل أن أخرجك من هنا لأقضى على نفسي بغلق المنافذ هنا بواسائلي، وحينما كنت معلقًا قمت بدس جنينًا لي داخل جسدك كي تخرجه وتحتفظ به لينمو مثلى في معزلٍ عن أي أحد فربما جاءت الحاجة له لو لم أنجح في قمع بنو جنسي! فعرقي يرفض أن يتم إحلالنا داخل غيرنا كي يحيا، أوصيك خيراً بآخر جنسنا، وأن تجعل من سلالتك حضّانة ليستمر بنو جنسي، فربما كان سببًا لإنقاذ الأرض.

وانقطع صوته حينما وصلنا لمنفذ وسط الصخور داخل شبكة السراديب المرعبة والتي انسل عبرها بسلاسة تارة زاحفًا والأخرى متسلقًا، حتى خرجنا من وسط الصخور في الصحراء أسفل شمس الظهيرة الحارقة.. وجدته يلقيني أرضًا عاريًا، ونظرت له شاعرًا

بشيء يموّج خلف القطع إلى تم تقطيبه في جسدي. ومددت يدي لأتحسس جانبي لأسمع صوته يتردد في رأسي:

- حافظ عليه.. فهذا هو أملكم الوحيد! وداعًا!

قالها ليختفي في لحظة عن أنظاري، لأبقى وحيدًا وسط البيداء التي كنت أجهل جغرافيتها تمامًا! فسرت عاريًا أسفل الشمس القائظة مترنحًا ومتعبًا، والألم يغزو عضلاتي.. كنت أعانى! لكن رغم معاناتي وحرجي الشديد من عرىّ بدني وكرهي لكلّ غاصب لبلدي، لكنى شعرت بالسعادة حينما رأيت ذلك الجندي البريطاني وهو يظهر لي من بين التبات بثوبه الأصفر ذي البنطال القصير بصحبة آخر مصري يرتدى طربوشه المبقع بالعرق ليهتفا بي أن أتوقف.

رفع الجندي البريطاني بندقيته (الوينشستر) أحادية الطلقة سائلاً إياي عمن أكون وكيف أسير هكذا دون ملبس.

نظرت للجندي المصري لأجيب منهكًا:

- أنا الدكتور السيد مصطفى سليمان البربري! دكتور الجراحة بمبرة محمد على! أرجوك أوصلني لأقرب مبرة! قلتها لأسقط فاقدًا للوعي!

واليوم كتبت سطوري هذه وأنا تحت ملاحظة صديقي الدكتور الفرنسي (ميشيل لوبان) المقيم بمبرة مصر القديمة، إذ أنهم قد عثروا على بالقرب من جبل المقطم.

هناك العديد من الاسئلة التي دارت في رأسي ورأس صديقي الدكتور لوبان، خصوصًا حينما قام باستخراج الجنين من جسدي! من هم حقًا؟ وكيف يعيشون تحت الأرض؟ ولماذا ساعدني؟ وكيف يمكن أن نصل لهم؟

و.. و.. آلاف من الاسئلة التي دارت في رأسي دون توقف، ودون أدنى إجابة واحدة شافية، لكن كلّ ما هنالك هو ذلك الجنين ذي الشكل الزاحف والذي قبع ملتفًا حول نفسه غافيًا داخل قفصه الزجاجي حينما قرر الدكتور لوبان أن نحتفظ به لدراسته واعدًا إياي بأن يحافظ عليه! خصوصًا حينما يصحبه معه لفرنسا لدراسته، بصحبة نخبة من العلماء يمكننا أن نثق بهم! لكن! ما الذي ستخبئه لنا الأيام؟ لا أدرى! وليعينني الله على أن أمد في سلالة هذا الجنين عبر صلبي من الأبناء والأحفاد، وليحفظنا رب السماء.

القاهرة 1921

مبرة مصر القديمة

دكتور جراح / السيد مصطفى سليمان البربري.

نظر هيثم لرفاقه في القطار ليَكمل:

- كان هذا جدي الذي أراد أن يستمر الأمر عبر نسله، فتنصلت له العائلة حينما علموا من زوجته بما كان يعتزم به، فقاموا بنبذه والتنصل منه، بل وحذف أثره من شجرة العائلة، ولم يعرف

أين ذهب! خصوصًا حينما ارتحل عن مصر لفرنسا لتنقطع كل أخباره، ولم يتزوج على حد علمي من أي مصرية، بل لم يعد لديه أدنى أثر! وما رويته كانت صفحات قد سطرها في مذكراته التي احتفظ بها شقيقه! جدي لوالدي، أما دون ذلك، فلا شيء!

(28)

هتفت (أسماء) بعجب:

- يبدو أنك تمزح.. أنت كاتب رعب بلا شك..

أيّدها الجميع بحماس، بينما هتفت (منال):

- كنت أعلم أنك لن تخذلنا.. قصة جميلة بها معلومات تاريخية بسيطة، وخيال علمي كذلك.

قالت (صفاء) مازحة:

- كنت تقول لست بكاتب رعب ولا أجيده، ولكنك أجدته أنت خاسر يا (هيثم)..

ضحك الجميع، و(هيثم) ينزل على ركبتيه مازحًا متوسلاً ألا يرسب..

قال (محمود الجعيدي):

- هذا يعلمك ألا تقلل من قدرك..

قال (أحمد جمال):

- لقد كانت قصة جميلة شجعتني لأخوض غمار المسابقة بقصة متواضعة.. لا تبخس نفسك حقه..

قالت (صفاء) بحسم:

- هيّا نعود أدراج اللعبة..

أمسك (محمود الجعيدي) بالأوراق، وسحب ورقة كيفما اتفق، وهتف بالاسم بحماس:

- (أمجد عبدالمجيد)..

نظر لهم أمجد بدهشة، ثم قال بلا تكلف:

- لقد كنت أكثر مَن حولي بحثاً وتعمقاً في كل ما يثير رعبي، ومن ثم قررت الابتعاد لأمر قد حدث سلفاً..

ثم ابتلع ريقه مستكملاً بعد أن ابتسم لهم:

- ولكن لِمَ لا أحاول..

شجّعه (إسلام وهيب) بربتة على كتفه، بينما أنصت له الجميع..

ومن ثم شرع في سرد قصته..

(29)

أنت القادم

في مقدمة أحد النواصي كان هناك قصر ذو طراز قديم، تغيّرت عليه الأزمان والعصور وتتابعت عليه الأجيال حتى أن الجيل الحالي لم يكن يعلم عن ماهيته شيئًا، مجرد بناية ضخمة تَشغل مساحة كبيرة على غير فائدة، ولكن أكثر ما يميزه عنِ غيره أنه غير صالح لسكن البشر، فقط الأرواح وحدها هيِ من لها الأحقية في سكنه، الأرواح التي تستعيد حياتها بعد أن ينسدل ستار الليل على أسواره فيصدر منهم ضجيجٌ مزعج، يُحرم على الجميع المرور جوار مسكنهم ليلاً.

إلا أنـا.. لم ينال مني صخبهم يومًا! فالآذان تسمعُ ما يحلو لها.. وما تريد أن تسمعه..

اسمي (عادل) أسكن في إحدى الحواري المجاورة لذلك القصر.. في الآونة الأخيرة اعتدت الذهاب إلى أحد أصدقائي، وأثناء عودتي متأخراَ كالعادة؛ كان لابدَّ لي من التمشي بمحاذاة واجهة القصر، لا امتلك خياراً آخر.. كنت أشاهد عيونًا ناصعة البياض تنظر إليّ من خلف النوافذ، اسمع صدى اسمي يتردد بداخله وأصوات متشابكة ممزوجة بعضها ببعض تئنّ خلف الجدران أو بينها، الأموات لا يصدرن أصواتٌ على ما أظن! فلابد أن هناك بالداخل ما تدب فيه الروح..

كنت أهرع عدوًا كلما رأيت ظلاً يسير خلفي أو من أمامي، أو يسير بجوار ظلي المرسوم أرضاً -بفعل أعمدة الإنارة- كصديقين حميمين يضعُ أحدهما يده على كتف الآخر بحنوٍ مبالغ فيه.

سئِمت من تكرار نفس المشهد يومياً، وكأن أحدهم يترصد عودَتي!

ذهبت إلى جدتي وسألتها عن غموض ذلك القصر، فقالت لي بنفور:

- هذا القصر كان لسيدةٍ عجوز، مات زوجها منتحراً بعد حادث وفاة ابنه وزوجة ابنه ٍوهم عائدين من (انجلترا)، كانت لديها حفيدة وحيدة تعيش معها في القصر، تؤنس وحدتها، وتروم تشقق قلبها، وتهون عليها تفجعها على زوجها ومن قبله ابنها..

وفي إحدى الليالي سمعت الطفلة جدتها تتحدث إلى رجُل في حجرة منعزلة داخل القصر، فتلصصت عليها الطفلة لتجدها تقف بمنتصف تلك الحجرة المزخرفة بقرون الغزلان والثيران، ورؤوس الثعالب والثعابين المحنطتين.. تُكلم طيفًا ليس له وجود، ولكنها تسمع صوته، هيَ لم تكن سمعت صوت جدها مسبقًا، فلا تظن أن ذلك الصوت المزعج يعود إليه.. ظهرت الطفلة في المشهد مقاطعتًا اندماج جدتها في الحديث مع العدم، فشهقت العجوز وغضبت على حفيدتها ومن ثم قات بمعاقبتها..

مرّت أيام غامضة على الطفلة حتى تقدمت في العمر وبلغت الخامسة عشر عاماً، حرصت الجدة قبل وفاتها على إفشاء السر

لحفيدتها وإملاءها بكل غامض حدث في القصر منذ أن خرجت إلى العالم، أعلمتها بكل الأمور التي كانت تفعلها وعلاقتها بالأرواح، قامت بتدريبها علي ذلك كي تطمئن على أنها لن تكون وحيدةً بعد رحيلها.. ماتت العجوز وتركت الفتاة ترتع في ذلك القصر الضخم، تعايشت الفتاة مع مجريات حياتها حتى بلغت الثامنة عشر، تسلل الاشتياق إلى قلبها، اشتاقت لوالديها، ولجدتها التي حُرمت منها، فقررت أن تسير على النهج وتفعل ما أملته عليها جدتها قبل موتها، فبدأت تنفذ طقوس التحضير من نفس الحجرة، ظنَّت بأنها نجحت، وتواصلت مع روح جدتها ولكنها لم تكن كذلك، بل أن الصوت الذي غمر المكان ببشاعته كان من صنع الشياطين، فالشياطين لا يخفي عليهم خافية، أقحمت الفتاة نفسها فيما لا قبل لها به، غابت الفتاة عن عيون الجميع حتى رآها الناس هيكل عظمياً مُلقي أمام بناية القصر، قيل أنها ألقت بنفسها من أعلاه وقيل أنها كانت تلهو على حافته ففلتت قدمها ثم سقطت قتيله، ولأنها لم يكن لها صلة بمن حولها فمكثت جثتها أرضاً حتى تحللت، ومن وقتها لم يسكن القصر ولم يدخله أحد، فيقال انه مسكون بالجن والعفاريت إلا أنني أخشى أن يكون ذلك صحيح..

صمتت للحظة، ثم نظرت إليّ قائلة:

- مهما كان.. فلا تُشغل بالك بتلك الأمور..

همست لها بخفوت:

- بالطبع جدتي.. كنت أريد معرفة حقيقته فقط..

بعد سماعي كلام جدتي، اشتعل الفضول في جوفي فقررت إشباعه بأي ثمن.. اتصلت بصديقي (فؤاد) وقصصت عليه ما سمعته من جدتي، وعرضت عليه مشاركتي في استكشاف القصر، فوافق فؤاد دون تردد..

في منتصف الليل اجتمعنا سوياً أمام الباب الحديدي ذو القُفل المتآكل من الصدأ، وقفنا لفترة طويلة لاستجماع قوانا قبل أن نندفع نحو القُفل لكسره وعبور السياج بكل سهولة وعلى عكس المتوقع.. أرضٌ براحٌ واسعة لا عمران فيها تجاور القصر في مساحته، لابدَّ أن هذا البراحِ كان مشغولاً بالأشجار والجنائن.. يا لجماله قبل أن تدفنه تلك الواجهة السوداء، والشعور السيئ الذي شعرت به منذ أن عبرنا السياج.. باب القصر يبلغ ارتفاعه ستة أضعاف أطوالنا،كان موصدًا بطريقة يصعب علينا فتحها، فاتجهنا نحو النافذة الزجاجية، ودون تفكير التقط فؤاد حجراَ كسر به زجاج النافذة كأحرف سارقي المنازل، تعجبت من ردة فعله السريعة حينما مدَّ يداه بين شقوق الزجاج المنكسر ليفتح النافذة، نظر فؤاد إليّ فوجدني محدق العينين شارد في خيالي، قائلاً:

- ألست خائفًا؟

فأجابني بلا مبالاة:

- لا شيء يستدعي الخوف، ما سمعته من جدتك مجرد ترهات سمعت ما هو أكثر منها..

دخل فؤاد أولاً فاتبعته في تردد وخوف.. الظلام يسيطر على المكان، حتى أن ضوء القمر مخترق النوافذ ليس له أثر..

- هل تسمع شيئًا؟ أنا لا أسمع شيئًا!

الصمت مخيم على المكان تمامًا، اسمع فقط دقات قلبي وصراع أنفاسي، ولحسن الحظ أحضر كلانا مصباحًا يدويًا، أضاءت به طريقي باحثاً عن مكابس الكهرباء، وجدت واحدًا، حاولت فتحه فاكتشف أن القصر لا يوجد به مصدراً للكهرباء.. تأمّلت المكان من حولي على ضوء المصباح الخافت جداً، تلك الظلمة كانت تبتلع الضوء بصورة مخيفة، الأثاث المكسو بالغبار لا يزال يحتفظ بمكانه، وفجأة وجدت خيالاً أسود اللّون يقف على مداد بصري، فناديتُ على فؤاد،ولكن أين هو فؤاد؟ لم أجده في المكان الذي تركته فيه، فصرخت مذعوراً بأعلى صوتي:

- فؤاااااااااااااد..!

سمعت صوت فؤاد هو الآخر ينادي عليّ، الصوت قادم من الطابق الثاني، دون تفكير هرعت نحو السِلم، خطوت كل ثلاث درجات بخطوةِ واحدة، فوجدت فؤاد يقف أمام باب إحدى الغُرف منتصبًا دون حركة أو حراك، ينتصب العرق على وجهه كالذي ينتظر أجله!

اقتربت منه بحذرٍ شديد خوفًا من المجهول، ثم سألته:

- فؤاد.. ماذا تفعل هنا؟

رد باقتضاب:

- انظر وستعرف!

نظرت إلى ما ينظر إليه فتملكتني الدهشة، كما تملكته تماماً.. حجرة مضيئة، نظيفة، مرتبة بشكل جيد، مطليّة بألوانٍ زاهية وملصقات بصورة جمالية! سألته بذهول:

- ما هذه الحجرة؟

- لا أعلم ربما يسكنها أحد اللصوص..

- دعنا ندخل ونكتشف..

دخلنا الغرفة وبدأنا فحصها بحثًا عن شيء غير محدد في أذهاننا، فقط نحتاج شيئًا يثير اندهاشنا.. وجد فؤاد بعضاً من ألعاب الأطفال وكتاب داكن اللَّون يحمل اسم (العهد) محزوم بحبلٍ ومعقود بعقدِ كثيرة، فهتف:

- انظر إلى هذا الكتاب يا عادل..

أجبته دون أن ألتفت إليه:

- القه بعيدًا الآن، لم نأتي لأجل أن نبحث عن كتاب..

حلَ فؤاد العُقد عُقدة تلو الأخرى حتى حرّر الكتاب من قيوده ولكن الكتاب لم ينفتح معه، كأن عامل الرطوبة ألصق الأوراق بعضها ببعض، فوضعه فؤاد بإهمال على سطح مكتب يتوسط الغرفة، وعاد إلى بحثه من جديد.. وجدت صندوقًا مُزينًا أسفل السرير، فأخذته وقد صدر مني ضحكة تكشف عن إيجادي شيء ثمين، ثم توجهت بنظري نحو فؤاد، فوجدته يقف مندهشًا جاحظ العينين، شاحب الوجه، ينظر إلى فتاة تجلس فوق الكتاب الذي وضعه على المكتب..

فتاة صغيرة، مشقوقة الرأس طوليَا إلى جزئين، جزءاَ منهم لم يكن بمكانه، تُهزهز قدماها، وتبتسم له بنصف فمها، فيصدر منها صوت ضحكة هادئة، وجهت نظرها صوبي فسقطت أرضًا مغشيَ عليّ من شدة الصدمة، فتركتني واتجهت نحو فؤاد المتمالك لنفسه، تضحك له وهيَ تلتف حوله بسرعة تدير الرؤوس، تم توقفت على مسافة نصف متر منه، ومدَّت ذراعها نحوه فإذ به يستطيل حتى يصل إلى كتفه، ربتت على كتف فؤاد فصرخ في وجهها مذعوراً، فلكمته في رقبته لتلقي به في عالمٍ آخر..

استيقظت على صخبٍ يصدر من خارج الحجرة، فتحت جفني ببطء شديد لأجد نفسي في الحجرة ذاتها مستلقيَا على سرير أزرق اللَّون وعلى صدري يقف جرذ كبير الحجم يأكل في إصبع بشري، ضربته بيدي اليسرى لألقى به بعيدًا عني، ثم انتفضت واقفًا علي السرير، مترقباً هجوم الجرذ، ولكنه ظل ينظر لي

بغضبٍ مكشراً عن أنيابه، يدخل من الباب رجُلين لا ملامح لهما، يرتديان ثوب أسود لم يكن تقليدي بالنسبة لي، يتقدمون نحوي ليمسك كل واحد منهما بإحدى يديّ ثم ألقوا بي على السرير، ليقيدوني، فيصعد الجرذ على بطني، وأنا المصدوم من هول الموقف لا يصدر مني أي محاولة أدافع بها عن نفسي، يدب الجرذ أطرافه في بطني ليخرج أحشائي أمام عيني، ثم يبدأ تناولها بأنيابه الحادة..

***

انتفضت من فزعي الغير مسبوق..

فُتحت جفوني من تلقاء نفسها مجددًا، هل ذلك كان كابوس؟

حمدا للرب، ولكن أين أنا؟

مستلقياً على بطني في بركة دماء، في مكان مغلق إضاءته خافته، ولكن معالمه توحي بأنه مرحاض، تلك الدماء التي كانت تسيل من صنبور قديم فامتلأ الحوض بالدماء حتى سالت فوقي، تحسست بطني فوجدتها سليمة لا يوجد بها أي مكروه، شعُرت بشيء يمسك قدمي ببطء، نظرت إليه لأجد نفسي أسحل منكباً على وجهي، إنها فتاة الحجرة تفتح باب المرحاض ثم سحبتني إلى الخارج، أخذت أصرخ مستغيثًا بفؤاد، وما كان لي غير أن أركلها بقدمي لتكف عن سحبي وتبتعد عني، فتركتني واختفت، أين أنا إذن؟

ممرَ ضيقٌ وطويل جدًا، لا أستطيع عيني الإتيان بنهايته، يوجد به الكثير من الأبواب المغلقة على جانبيه، يصدر من خلف كل بابٍ صوت صراخ لأشخاص يتعذبون، ومن خلف الباب الذي أقف بجواره سمعت أصوات كثيرة تنادي باسمي وتستنجد بي، فتحت الباب ثم ابتعدت مرتقباً خروج أحدهم، فخرجت الفتاة ولكن هذه المرة دون رأسها، هجمت عليّ ثم صعدت فوقي وقد غرست أظافرها المدببة في رقبتي..

***

سقط جسدي على الأرض، فوجدتني جوار السرير وقد عُدت بعد أن أغشى عليّ..

ما تلك الكوابيس!

الغرفة كما تركتها، لا أرصد أي تغيير، حاولت أن استجمع شجاعتي وأبحث عن فؤاد فوجدته على الجانب الآخر من المكتب ملقى على الأرض فاتحًا عينيه، ينظر إلى السقف بعيون لا ترمق، وهناك جرح برقبته يسيل منه كتل من الدماء سوداء اللَّون، في نفس الموضع الذي غرست فيه الفتاة أظافرها في رقبتي داخل الكابوس الذي راودني مؤخراً.. حاولت استيعاب ما يحدث معنا، غير أن رغبتي في مغادرة القصر حملتني نحو فؤاد لأرفعه على كتفي لنهرب.. أوقفني صوت دبيب على الأرض فوقفت ماسحًا الحجرة بعيني، فوقع نظري على كتاب العهد، أنزلت فؤاد، ثم توجهت نحوه في ترقب وحذر شديد، انطفأ الضوء

فجأة وعن غير تمهيد مسبق، لا أتذكر أين وضعت المصباح، فتحسست الأرض بمقدمي في محاولة لبلوغ فؤاد المغشي عليه فلم أجده، فذهبت إلى زاوية الغرفة وجلست مقرفصًا أراقب ما سيحدث بحذر..

عادت الأضواء لطبيعتها، فكان أول ما نظرت إليه المكان الذي كان عليه فؤاد، ولكنه لم يعد موجودًا، قمت من مكاني فوجدت الكتاب مفتوحًا على مصرعيه، تتقلب صفحاته تلقاء نفسها كأن هناك أحدًا يتصفحه، اقتربت منه أكثر فأكثر كأنني مسحور، فإذا بقطرات دماء تتساقط على صفحاته، حتى بلغت نهاية الكتاب فوجدت في آخر صفحاته جملة منقوشة بالدماء

"لقد فتحتم على أنفسكم أبواب الجحيم"

تذبذب الضوء واهتزت الأرض من تحت قدمي، أحسست وكأن السحر الذي يربطني بالكتاب اختفي، فخرجت من الحجرة مسرعاً وقفزت درجات السِلم في لمح البصر، وجدتني بجوار النافذة المكسورة ألا أنها عادت كما كانت حتى أن ذلك الخيال ما زال يقف هناك، ولكن هذه المرة أرى عيونه تنظر إليّ في غضب، وهو يقول لي بصوته الحاد المتقطع:

- ارحل ..!

اشتعلت النيران فجأة داخل القصر من خلفي، وأصوات أناس يصرخون من الجحيم، كأن النار تلتهم أجسادهم، فنسيت أمر فؤاد وهرعت إلى خارج القصر عائدًا إلى منزلي..

وقد شلَّ عقلي من التفكير!

"الهي اعفُ عني، واصرف عني شر ما فعلت"

***

في اليوم التالي جاءني اتصال من والدة فؤاد تطالبني بسرعة التوجه إلى منزلهم فحالة فؤاد غير مطمئنة، ذهبت إلى منزل فؤاد وقلبي يرجف بين ضلوعي، فتحت لي والدته، فسألتها:

- أين فؤاد يا عمتاه؟

أجابت وقد غلبها البكاء:

- انه بالداخل يا عزيزي..

فسألتها بلهفة: أيمكنني رؤيته؟

فغمرت الدموع عيونها ثم أذنت له بالدخول، دخلت عليه فإذا به شاخص البصر، لا ينطق بحرف واحد، عيونه غطاها السواد وجرحه المربوط تسيل الدماء من تحط رباطه، انتبه لوجودي فنظر لي بقوة لبرهة، ثم نطق أخيراً

- لقد أخطئنا..

- أعلم هذا يا فؤاد، ولكن لا بأس ستكون بخير..

- لم يكن لزامٌ عليّ تحرير العهد..

ثم انهار بعد أن خارت قواه، فدخلت أمه برفقة الطبيب.. وفي صبيحة اليوم التالي استيقظت على خبر وفاة فؤاد..

نعم.. لقد توفي فؤاد.. رحل ولن يعد..

لم أجد لدي القدرة على الذهاب لتوديع صديقي قبل دفنه، فالصدمة ألزمتني حجرتي لأيام ليست بالقليلة، حتى أحسّت والدة فؤاد اختفائي فزارتني في منزلي بعد أيام من موت ابنها الوحيد وكرّة عينها، حاملة مظروف كُتب عليه "خاص جداً لعادل".

كانت تبكي بشدة، وهيَ تسألني بحزن:

- ماذا فعلت بابني يا عادل؟ قل لي الحقيقة أرجوك..

لم أستطع أن أجيبها، اكتفيت بإخراج الورقة من المظروف الذي انتهكت خصوصيته..

فوجد مكتوب عليها بخط لم يكن لفؤاد..

"استعد، أنت القادم"

(30)

القصة الأخيرة

بعد أن أنهي (أمجد) قصته والكل في ذهول وهناك أسنان أحدهم تصطك من الرعب، كانت هناك تلك الأذن التي تسترق السمع عن قرب.

تفاجأ الجميع بدخول (صاحبها) عليهم مستأذنًا:

- معذرة.. ولكني استمعت إلى قصصكم بالكامل هل تسمحوا لي بحكاية تجربة شخصية قد تبدو مألوفة لكن أوعدكم أنها عكس المتوقع؟

نظرت الكاتبة (صفاء حسين العجماوي) للشخص باحتقار وإلى ملابسه الرثّة جداً ليقفز السؤال بذهنها "كيف يسافر بالقطار وبتلك الملابس!" وإلى عينيه الحزينتين الحائرتين لتجيب عليها بأنه شخص غير طبيعي مما جعلها لا تُطيل النظر وترأف لحاله ثم بدرت الكلمة منها على سبيل الدعابة:

- احكي!..

تنهد (الشخص) ثم مسح أسفل فمه بإصبعيه كالمدمنين ثم اقترب منهم ليهمس:

- أن اسمي (أيمن العايدي) اعتدت أن أتميز كل سنة في دراستي بكلية الطِب، لكن توقف كل ذلك عقب تجربتي.

بدأت حكايتي في سنة الإمتياز عندما أردت هيكلاً عظمياً خاصًا بي بعد أن سئِمت الاستعارة من أصدقائي فابتعت واحدًا من شخص غريبَ ظهر لي من المجهول عرضه عليّ بثمن بخس فانتهزت الفرصة ولأني أسعي للإمتياز كما سبق قولي اختطفته وأسرعت به سعيدًا إلى منزلي.. كان عيبه أنه عظام غير منتظمة وغير مرتبة، وكانت مهمتي التصنيف والترتيب لكلِّ عظمة على الأرض.

لا.. أقصد على السرير.. سريري، وكأنه شخص نائم، وبعد أن جمّعته كقطع (البازل) نظرت له بفخر وأنا فرح بهذا الإنجاز الذي يجب أن أوثقه لأصدقائي..

أخرج (أيمن) هاتف متوسط الحال ليريه للكتّاب المتجمعين من حوله بالقطار وقد انتبهوا له لكن غير مصدّقين..ثم ولج لمعرض الصور، وإلى صورة لشخص نائم، نظر الجميع ثم ابتسموا لبعضهم البعض بعد أن تبادلوا النظرات الساخرة.

قالت (صفاء) وهيَ تشعر بالندم لسماحها بهذا (المختل) أن يتحدث:

- ما هذا أترينا شخصًا نائمًا؟

نظر لها (أيمن) بغضب:

- هل انتهيت لتحكمي عليّ بتلك النظرة وترمقيني بسخريتك، أنا لست مختلا يا سادة.. فقط دعوني انهي..

ثم مسح بإصبعه منتقلاً لصورة أخرى فيها هيكلاً نائمًا عظامه مرتبة ومنفصلة عن بعضها كما وصف فتحولت النظرات للجدية والتوتر!

ناول الهاتف لـ (محمود الجعيدي) الجالس بجانبه:

- يبدو على نظراتك أنك لمّاح هل يمكن أن تلاحظ وتستنبط الفرق بين الصورتين؟

نظر (محمود الجعيدي) بتمعن بعد أن تناول الهاتف يمسح بإصبعه يمينًا ويسارًا ما بين الصورتين لكنه أعاد الهاتف وهزّ رأسه نفيًا:

- لا.. لم ألاحظ!

نظر (أيمن) للكلِّ:

- حتى لا أضيع وقتكم، سأكمل.. لقد لاحظت أن يد الرجُل ترتدي خاتمًا أحمر اللون يبدو باهظ الثمن، خلعته من يده وأنا متعجبًا كيف لم يلاحظه صاحبه.

هذا بعد الصورة الأولى، ثم غيرت وضع اليدين وتجهزت للصورة الثانية والتي صدمتني، يبدو أنكم خمنتم، نعم.. رأيت شخص

محله بشحمه ولحمه ! كما شاهدتم الصور واعتقدتم أني مجنون..

ثم أخرج الخاتم من جيبه وسط ذهول الجميع:

- هل معكم هواتفكم؟ فلتفتحوا الكاميرات بها إذا سمحتم..

على الفور تسابق الجميع بإخراج هواتفهم وعلى وضع التصوير، نظر لهم أيمن بثقة:

- تذكّروا هذا يظهر بعد التصوير وليس قبله حتى لا تظنوا مرة أخرى أنّي أتلاعب بعقولكم لقد وعدتكم أنها عكس المتوقع، والآن خُذوا صوركم لتحكموا..

توالت الفلاشات، في ظلام عربة القطار بطريقة ملحوظة لفتت نظر الجميع، ونظر كل منهم إلى الصورة، أيمن بشحمه ولحمه!

ارتدي (أيمن) الخاتم وهو يقول:

- والآن هل أنتم جاهزون للصدمة؟

ابتلع الكل ريقه الجاف من الفضول وصوبوا هواتفهم نحوه و(كليك).

هذه المرة لم ينتبه أحد، مجموعة من الأصدقاء توثّق لحظاتها السعيدة.

ولكن الغريب هيَ تلك الصرخات والهمهمات التي دارت بينهم فالكل في صدمة فـ(أيمن) يبدو كهيكلاً عظمياً يرتدي تلك الملابس الرثة وخاتمه متوهجا بطريقة مستعرة كأنه جمرة من الجحيم، وعلى الحقيقة (أيمن) يبتسم بطريقة موترة:

- هل عندكم تفسير؟

مدَّ (محمود علام) يده قائلاً دعني أجرب لكن الكاتبة (منال عبد الحميد) أوقفته بقلق:

- (محمود) هل تعلم إن كانت هُناك خطورة أو لا لهذا (الخاتم)، هذا (الأيمن) قد يكون بداخله اللعنة ذاتها ويستدرجنا إليها، هل رأيته منذ بداية جلستنا؟ هل لاحظه أحد؟

وهيَ تنظر للكلِّ بشك كأنها تؤكده عليهم:

- لقد ظهر فجأة من العدم ونحن لم نلاحظه أليس كذلك؟

ابتسم (أيمن) بخبث لها:

- من الممكن أن تكوني على حق يا (أستاذة) لكني لم أكمل.

صمت لحظة وضحك مع هزّه من رأسه وهو يقول:

- يا لك من ذكية، لكن ليس بالقدر الكافي.. لقد صدقتي أنها لعنة، لكنهَا أصابت هواتفكم بالكامل، بعد خمس دقائق ستتغير

جميع صوركم الطبيعية لتتجرد من شحمكم ولحمكم لتتحوّل إلى هياّكل عظمية، وستنتظرون الموت مثلي.

أخرج (الجميع) هواتفهم بفِزع وبالفعل بدأت صورهم تتحول للموت، صرخت (صفاء) وهي تقول:

- أيها الوغد ما كان عليّ السماح بدخولك وسطنا عليك اللَّعنة، ستنال جزاءك.

ابتسم (أيمن) قائلاً:

- أنا.. هاهاها لقد نلت بما فيه الكفاية وأنا فعلاً عليّ اللَّعنة فبسلامة نيتي ارتديت الخاتم وقتها، لم أكن أتوقع أن أشاهد ملاءة سريري ترتفع من أعلي هذا الهيكل العظمي الذي أحضرته ليقف فوق سريري متلفتاً نحوي بينما أتحرك وأجري نحو الباب الذي أُوصد من تلقاء نفسه ليحبسني بالداخلِ وعندما التقطت هاتفي بعد أنِ سقطَ من صدمتي طلباَ للمساعدة ولاتأكد من سلامة قوايَ العقلية لاحظت أن صوري كلها تتحوّل لهذا المشهد المرعب ماعدا صورة الميت بجسده عندما انتزعت منه الخاتم، لم أجد لها تفسير، لم تتبدل.

صرخت من جوفي بلا مساعدة تأتيني، الظلام بات حالكًا بانقطاع الكهرباء والبرودة تسري بداخلي في غرفة بها شخص ميت يقف تحت الملاءة وكأن أطرافه تجمّعت وكل ما يحركه هو رأسه والباب مُغلق من الداخل.

كل ما أتذكّره أنّي أسير بهاتفي بلا هدف فاقدًا هويتي أشعر أنى محلق في سماء حمراء كالدم، يبدو أني فقدت السيطرة على نفسي ألعن كل ما حولي بتلك الطريقة وبهذا الخاتم وباسم مصطنع، وِداعًا أيها الأصدقاء لقد سمعت بقصصكم ولا أكذبكم القول فهيَ مرعبة جداً، لكن لن تروا ما هو أرعب من الواقع الآتي أمامكم وأنتم تنتظرون الموت في هذا القطار.

صرخت (رحاب):

- ولماذا نحن.. لماذا لعنتنا!

ضحك (أيمن) قائلاً:

- أتظنون أني اخترتكم عشوائيَا!

ثم رفع كفه بالخاتم:

- انظروا كيف يتوهج، انه الذي اختاركم وليس أنا، إنها أوامره. وأنا أنفذها..

اختتم جملته وهو يصرخ ليلتفت الجميع من حوله وقد فاض الكيل بكلِّ الركابِ من تلك الضوضاء وأضواء أعمدة النور الكهربية بالخارج تمرّ على وجهه الخبيث وشعره الأشعث يتطاير في جميع الاتجاهات وهو يصرخ بهستيريا عنيفة والزبد الأبيض يتطاير من فمه:

- أنا أنفذ أوامره..

حتى إذا مر القطار بنفقٍ طويل وبعد نهايته عاد الضوء مرة أخرى ليشهد الكلِّ هذا المشهد مجموعة الأصدقاء يجلسون وأجسادهم متصلبة من فرط الرعب وقد بدأت تختفي لحومهم كأنها تبخرت لكن تبقّت عظامها، أما الشخص المجهول الذي أثار البلبلة من حولهم اختفي تمامًا من الصورة

وتعالت الصرخات، صرخات فزع بحق!

لبشاعة ذلك المشهد!!

تمت..

تنويه،،،

النسيج الروائي والفوصل قام بكتابتها الكاتبة صفاء حسين العجماوي.

الفهرس

1* الرحلة صفاء حسين العجماوي

2*قناة الشيطان إبراهيم وهبي

3*أوراق الجحيم محمد مجدي يوسف

4*طباخ أبليس محمد مسعد

5*منذ ثلاث سنوا مروان محمد عبده

6*الملك أسماء أحمد ونان

7*شاليه 166 عمرو مرزوق

8*مرسم صفاء حسين العجماوي

9*عفريتة القصر	مروة المأذون
10*الأعور	محمود الجعيدي
11*مصطفي	محمود علام
12*الماعز الشيطان	منال عبدالحميد
13* شموس	رحاب الروبي
14*الشريد	هيثم مصطفي
15*أنت القادم	أمجد عبدالمجيد
16*القصة الأخيرة	إيمن العايدي